وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كليـــة العلوم الإنسانيـة والاجتماعيـــة –قطب شتمة -

قسم العلوم الانسانية

شعبة التاريخ

عنـــــــوان المذكـرة

أحمد توفيق المدني ودوره الثقافي والسياسي بالجزائـر خـلال الفتـرة الممتـدة من (1925–1962)

مذكرة تخرج مكملـة لنيـل شهـادة الماسـتر في تخصـص التاريخ المعاصر

إعـداد الطالبـة:

- سميـة تينـة

إشـراف الاستاذ:

- الأميـر بوغـداده

السنة الجامعية:

2015 / 2016 م

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول:

مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا،سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ،حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ ،وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ،كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ،إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ،إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَم يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا،إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ،فَمَن أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.

أخرجه الترميذي.

شكـر وعرفـان

الحمد لله وحده لا شريك له أحمده و أستعينه على ما رزقني به من نعمة وعلى ما أعانني لانجاز هذا البحث و الصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه وسلم تسليما كثيرا.

في البداية أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف الأمير بوغداده الذي وجهنا ولم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه.

كما أتقدم بالشكر والتقدير للسادة الموقرين أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بالموافقة على مناقشة المذكرة وعلى جهدهم في تقييمها وعلى كل ملاحظاتهم التي ستكون نورا يهتدى به في المستقبل.

وأتقدم بخالص الشكر لكل من ساهم في هذا العمل وأخص بالذكر:

الأستاذ مصمودي نصر الدين على مساعدتي طوال مشواري الجامعي أدامك الله في خدمة العلم وجزاك الله خير جزاء.

والأستاذ حوحو رضا لخميسي فريح اللذان مدا يد المساعدة وإلى كل من ساعدنا في إتمام هذا العمل.... بنصيحة أو كلمة طيبة.

وأدعوا الله أن يجزيهم الجزاء الأوفى إنه ولي ذلك والقادر عليه.

مقدمة

أنجبت الجزائر في خضم مسيرتها التاريخية العديد من العلماء البارزين الذين أضاءوا فيها نور العلم؛ وتركوا أثرا واضح في مسار القضية الوطنية على الصعيدين الثقافي والسياسي، وكان لهم دورا فعالا في التصدي ومحاربة السياسة الاستعمارية والتي تهدف إلى طمس مقومات الشخصية الإسلامية المتمثلة في الدين، الوطن، اللغة، كما كان لهم عظيم الشرف في إحياء النهضة الفكرية في الجزائر.

ونجد أن من بين هؤلاء العلماء أحمد توفيق المدني الذي يعد من هذا الفصيل الذي تعتز به الجزائر الحاضرة وذلك نظرا لتجربته الرائدة في الجزائر، وكذا التراث الفكري والعلمي الذي تركه على مدار سبعين عاما من العطاء والنضال والكفاح في سبيل القضية الوطنية.

ومن هنا ارتأينا تخصيص دراسة أكاديمية تتناول شخصية أحمد توفيق المدني لنترجم من خلالها جهوده الوطنية، بالإضافة إلى إبراز دور ومكانة الرجل في الساحة الثقافية والسياسية بالجزائر من خلال بحثنا الموسوم بـ: "أحمد توفيق المدني ودوره الثقافي والسياسي بالجزائر خلال الفترة الممتدة من (1925– 1962م)".

أما عن الدراسات السابقة فحسب ما اطلعنا عليه عثرنا على 3 رسائل جامعية تتعلق بأحمد توفيق المدني هم:

- إرهاصات المدرسة التاريخية الجزائرية أحمد توفيق المدني أنموذجا وسام هيدون وهي رسالة ماستر قدمت في جامعة محمد خيضر بسكرة.
- أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م رسالة ماجستير قدمت في جامعة منتوري بقسنطينة.
- المثقفون وإشكالية الحقل الثقافي الجزائري، دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف.

هذه الرسائل تطرق كل منها إلى جانب معين فالأولى تعرضت إلى كتابات أحمد توفيق المدني باعتباره أحد رواد المدرسة التاريخية الجزائرية كما عالجت أسلوبه في الكتابة وفي معالجته للقضايا الكبرى.

والثاني يبرز نضال المدني السياسي والثقافي في كل من تونس والجزائر حيث ركز على نشاطه بتونس بشكل كبير باعتباره موطن ميلاده، كما تناول دوره في الجزائر إلى غاية ما بعد الاستقلال.

والثالثة تناولت مقارنة بين شخصية أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف بحيث تناولت مؤلفات المدني ومصطفى الأشرف بالمقارنة والتحليل.

وعليه فقد جاءت دراستنا هذه مركزة ومختصة بدوره في القضية الجزائرية بشكل خاص بالإضافة إلى أن فترة الدراسة كانت تتراوح من الابعاد إلى غاية استقلال الجزائر حيث ركزنا بالدرجة الأولى على دوره في الحركة الوطنية والثورة التحريرية وكذا فترة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مستفيدين من كل الجهود البحثية السابقة، حيث اطلعنا على جوانب النقص وحاولنا تغطيتها.

أسباب اختيار الموضوع:

أسبـاب ذاتيــة:

- الرغبة الشخصية في البحث عن تراجم الأعلام والشخصيات.
- الرغبة في التعرف على المسار التاريخي الذي سلكه أحمد توفيق المدني.

أسبـاب موضوعيـة:

- محاولة الاطلاع على مراحل تطور الفكر الثقافي والسياسي لأحمد توفيق المدني باعتباره رائد من رواد الحركة الإصلاحية بالجزائر وكسياسي نشط.

أهـداف الموضـوع:

- إماطة اللّثام عن بعض الشخصيات الفكرية والسياسية في الجزائر التي لم ينصفها التاريخ.
- المساهمة من خلال هذه الدراسة العلمية الوقوف على نضال ومواقف أعلام الحركة الوطنية ورموز الثورة من أجل استفادة الأجيال القادمة.
- إبراز دور أحمد توفيق المدني في القضية الجزائرية على الصعيد الثقافي والسياسي.
- الكشف عن الأساليب التي استعملها المدني من خلال الدفاع عن الدين الإسلامي واللغة العربية للأمة الجزائرية.

وعليه تمحورت إشكالية البحث في نقطة مركزية تتمثل في إبراز شخصية أحمد توفيق المدني كنموذج من المثقفين الجزائريين، والذي استطاع اكتساح ميادين نضالية تنوعت ما بين الثقافي والسياسي لنصل إلى السؤال المحوري:

- **إلى أي مدى ساهم أحمد توفيق المدني في خدمة القضية الجزائرية من خلال جهوده الثقافية والسياسية خلال الفترة الممتدة من 1925-1962م ؟**

وتندرج تحتها عدة أسئلة فرعية:

1- من هو أحمد توفيق المدني؟ وما هي أهم المؤثرات التي ساهمت في إثراء فكره وتكوين شخصيته؟

2- كيف كانت تجربته النضالية بتونس؟

3- وما هي ظروف إبعاده من تونس إلى الجزائر؟

4- فيما تمثلت نشاطاته الثقافية والسياسية بالجزائر؟

5- وكيف كانت مواقفه من القضايا المحلية والدولية؟

وللإجابة عن هذا الاشكال وللإلمام بجوانب الموضوع اعتمدنا على منهجين وهما:

المنهج التاريخي الوصفي: وقد اعتمدنا عليه في عرض الوقائع وتتبع الأحداث التاريخية وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا وفق كل مرحلة من مراحل البحث.

المنهج التحليلي: وقد سلكناه عندما قمنا بعرض وتحليل الأحداث وآثار المؤرخ وكذا مواقفه، واستنتاج الحقائق بكل موضوعية بعيدا عن التحيز والذاتية.

أما بالنسبة للخطة المعتمدة احتوت على مقدمة وضحنا من خلالها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وكذا الأهداف ومنهجية الدراسة ثم بدأنا الموضوع بفصل تمهيدي جاء تحت عنوان أحمد توفيق المدني والمرحلة التونسية، وتطرقنا فيه إلى التعريف بالرجل من خلال ذكر مولده وتنشئته الاجتماعية وكذا تكوينه الدراسي حيث ذكرنا فيه نوعية التعليم الذي تلقاه بالإضافة إلى عرض لمختلف الأنشطة السياسية وكذا الثقافية للمدني في سبيل خدمة القضية التونسية والجزء الرابع ذكرنا فيه ظروف الإبعاد إلى الجزائر.

ثم نعرج إلى الفصل الأول الذي تضمن ثلاثة نقاط، عنون بنشاطه الثقافي بالجزائر والذي تحدثنا فيه عن دور الرجل في الميدان الصحفي بالجزائر وركزنا على صحيفتي الشهاب والبصائر حيث كان له دور فعالا فيهما ويليه الجزء الثاني الذي جاء بعنوان إسهاماته في الكتابة التاريخية وتطرقنا فيه إلى ذكر التراث الفكري للرجل والذي ساهم من خلاله بإثراء المكتبة الجزائرية من خلال تلك المؤلفات القيمة التي خلفها، ثم ثالثا نشاطه الثقافي بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية باعتباره وزير للثقافة آنذاك.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان نضاله السياسي في الجزائر (1925– 1962م) وتم التطرق فيه أولا إلى دوره في الحركة الوطنية على اعتبار أنه من رجال الإصلاح في الجزائر حيث كان له دور كبير في تأسيس نادي الترقي بالإضافة إلى أنه حظي بمكانة كبيرة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث كان من روادها ومن مؤسسيها الأوائل ويليه الجزء الثاني عنون بدوره في الثورة التحريرية وتطرقنا فيه إلى موقفه من اندلاع الثورة وكذا مهامه إبان الثورة، ثم ثالثا دوره في الحكومة المؤقتة والذي عرجنا فيه إلى نشاطه السياسي في الحكومة المؤقتة بالإضافة الى نشاطه الدبلوماسي و تمثيله الدائم في جامعة الدول العربية.

أما الفصل الثالث جاء بعنوان مواقفه من القضايا المحلية والعربية ووفاته وجاء بثلاث أجزاء أولا بعنوان موقفه من القضايا المحلية كقضية التجنيس، والمؤتمر الإسلامي ومجازر 8 ماي 1945، ثم ثانيا موقفه من القضايا العربية حيث بينا موقفه من القضية التونسية، والقضية الفلسطينية بالإضافة إلى قضية المغرب الأقصى لنختم الفصل بالجزء الثالث الذي عنون بوفاته أما خاتمة البحث فتتعرض إلى جملة من الخلاصات والنتائج التي انتهى إليها البحث والتي تبقي مجال الإضافة والاستدراك والتصويب مفتوحا.

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا فيعرفها كل باحث أكاديمي بحيث أنه من البديهي أن تصادفه عراقيل في طريقه تتطلب منه إرادة صلبة وصبر كبير لتجاوزها وبلوغ أهدافه، وعموما فإن أهم الصعوبات التي واجهتنا هي:

1– قلة المراجع التاريخية التي عالجت الموضوع بشكل مفصل وشحها في الكثير من الجزئيات.

2– تضارب الشهادات في العديد من القضايا التي كان أحمد توفيق المدني أحد الفاعلين فيها خاصة في نشأة جمعية العلماء المسلمين وعضويته في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني.

3– قلة المراجع التي تناولت الفصل الثالث هذا ما أدى إلى وجود صعوبة في التوسع فيه بشكل مفصل.

<u>التعريف بأهم مصـادر ومراجـع البحث</u>:

لقد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع تنوعت ما بين كتب وصحف وقواميس ومعاجم وغيرها.

المصـــادر:

- **كتاب حياة كفاح:** عبارة عن مذكرات يتكون من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: استفدت منه كونه غطى المرحلة التونسية يبدأ من 1905–1915م حيث تناول مرحلة النشأة والتكوين العلمي والسياسي لأحمد توفيق المدني.

أما الجزء الثاني: فقد خصص للمرحلة الجزائرية 1925–1954م حيث عالج نشاطات المدني في الميدان الثقافي والسياسي بالجزائر بعد ما تم إبعاده من تونس.

الجزء الثالث: 1954–1962م عالج فيه جهوده ونشاطاته المختلفة إبان الثورة التحريرية المظفرة بحيث أنه يحتوي على العديد من الأحداث والتطورات التي شهدتها الثورة الجزائرية.

وعموما فإن هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة كان من بين أهم المصادر التي ساعدتنا في بحثنا هذا حيث أنه يعتبر لُب المسيرة النضالية لأحمد توفيق المدني طيلة حياته.

- مذكرات محمد خير الدين لمؤلفه محمد خير الدين والذي استفدنا منه في ابراز دور أحمد توفيق المدني في الحركة الوطنية خاصة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المراجـــع:

- كتاب دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية لمؤلفه بوطيبي محمد والذي استفدنا منه خاصة في البدايات الأولى للنشاط الفكري والسياسي لأحمد توفيق بتونس.
- إضافة إلى بعض المراجع الأجنبية مثل كتاب:

Fatima Zohra guechi, la presse, algérienne de la langue arabe

عالج هذا المرجع الصحافة الجزائرية حيث تطرق للتعريف بأهم وأبرز الصحف التي كانت تصدر بالجزائر اعتمدت على هذا الكتاب في النشاط الصحفي لأحمد توفيق المدني بحيث أنه تطرق إلى نشاط الرجل في المجال الصحفي من خلال الشهاب والبصائر.

- ضف إلى ذلك كتاب عبد الكريم بوصفصاف بعنوان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية يعتبر مرجع مهم جدا لتاريخ الحركة الوطنية من بداياتها الاولى إلى غاية اندلاع الثورة وقد اعتمدنا عليه لكونه تحدث بإسهاب عن نشاط المدني ودوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- وكتاب تطور النشاط الدبلوماسي للثورة للمؤلف عمر بوضربة أفادنا كثيرا في التعرف على المسار السياسي لأحمد توفيق المدني إبان الثورة التحريرية.
- كتاب محمد ناصر بعنوان المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها اعتمدنا على هذا المرجع في الفصل الثالث حيث أنه عرج إلى ذكر مواقف أحمد توفيق المدني من القضايا المحلية مثل قضية التجنيس، كما أنه ركز على موقفه من القضية الفلسطينية أيضا بشكل خاص.
- كما لا يمكن أن ننسى دور مؤلفات أبو القاسم سعد الله كتاب الحركة الوطنية، وكتاب أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.
- بالإضافة إلى اعتمادنا على بعض الرسائل والأطروحات الجامعية مثل: رسالة ميسوم بلقاسم بعنوان الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية 1830-1962 دراسة تحليلية، كذلك رسالة بكاكرية جودي، المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف.
- كما اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من الصحف التي تناولت الموضوع كان من أهمها: جريدة البصائر ومجلة الشهاب.

قائمة المختصـــرات

الكلمـــة	المختصـــر
جزء	ج
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	ش.و.ن.ت
طبعة	ط
عدد	ع
دون سنة نشر	د.س.ن
مجلد	م
دون دار نشر	د.د.ن
طبعة خاصة	ط.خ
دون بلد نشر	د.ب

الفصل التمهيدي:

أحمد توفيق المدني والمرحلة التونسية

أولا: التعريف به (المولد والنشأة)

ثانيا: تكوينه الدراسي

ثالثا: نشاطه الثقافي والسياسي بتونس

رابعا: الإبعاد من تونس إلى الجزائر

تمهيـــد:

الفصل التمهيدي خصصته كلمحة عامة أبرزت من خلالها البدايات الأولى لحياة أحمد توفيق المدني بتونس، على اعتبار أن هذه الأخيرة هي موطن ميلاده لكن بشكل مختصر، وسوف أتطرق فيه أولا إلى مولد ونشأة الأستاذ المدني، وثانيا تكوينه الدراسي، حيث سأقوم بتتبع مسيرته الدراسية بدء من الكتاب إلى إنهاء دراسته بجامع الزيتونة، أما ثالثا سأعرج فيه إلى بداياته الأولى في المجال الثقافي والصحفي وكذا نشاطه السياسي بتونس، وأخيرا الجزء الرابع بعنوان الإبعاد من تونس إلى الجزائر سنشرح فيه الأسباب التي جعلت الإدارة الاستعمارية تبعده إلى بلده الأصلي الجزائر سنة 1925م.

أولا: التعريف بأحمد توفيق المدني

1- المولـد:

هو أحمد توفيق المدني(*) بن محمد بن أحمد المدني القبي الغرناطي، ولد يوم 1 نوفمبر 1899م، الموافق لـ: 24 جمادى الثاني 1317هـ، ببيت يقع(**) بنهج الناعورة رقم 4 بتونس العاصمة، من أب جزائري وهو السيد محمد المدني، وأم جزائرية وهي عائشة بويراز[1].

فهو بذلك سليل عائلتان جزائريتان من كرام المجاهدين الجزائريين، كان والده من كبار علماء الجزائر ومن السادة الأشراف والذي ولد بالحضرة الجزائرية سنة 1852م، وتلقى علومه بالجامع الكبير، كما كان جده أمين أمناء، أي شيخ بلدية بالعاصمة الجزائر[2].

أما والدته عائشة بويراز بنت عمر بويراز ابن مصطفى بويراز، الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة سطاوالي، وجدته من عائلة ابن غشام التي كانت من كبريات العائلات التونسية[3].

هاجر جده من مدينة الجزائر العاصمة، مصطحبا معه عائلته بعد احتلالها من طرف الفرنسيين، فاستقروا مؤقتا بمنطقة جرجرة إلى غاية سنة 1871م، حيث اندلعت في هذه السنة الثورة بقيادة المقراني والشيخ الحداد وشارك فيها الجد والوالد، إلى أن فشلت الثورة، وخلال إقامة العائلة بمنطقة جرجرة تعارفت مع عائلة جده لأمه الصالح الشيخ عمر بويراز، والذي كان بدوره قاصدا تونس أيضا[4].

وعليه ونظرا لهذه الظروف المتردية التي كانت تشهدها الجزائر، من عدم استقرار وثورات قررت أسرة المدني الهجرة إلى تونس، علهم يجدون الاستقرار هناك، ولكن شاءت الأقدار وبعد مدة ليست بالطويلة حتى وقعت النكبة بتونس وفرضت عليها الحماية الفرنسية في 1881م وبذلك

(*) ينظر الملحق رقم: 01.

(**) **نهج الناعورة:** هو الطريق الذي يفصل بين نهج الباشا ونهج التريبونال بتونس. **يراجع:** أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، الجزائر، دار البصائر، 2008، ج1، ص.33.

[1] أبو عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، الجزائر، منشورات دحلب، 2007، ص .425.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .33.

[3] المصدر نفسه، ص .34.

[4] مريم سيد علي مبارك، **أعلام الجزائر**، الجزائر، دار المعرفة ،2012، ص 70.

يمكن القول بأن أسرة المدني ما فتأت أن فرت من الجور والطغيان الفرنسي بالجزائر حتى لحقتهم إلى دار هجرتهم[1].

2- **نشأتـــه:**

نشأ أحمد توفيق المدني في محيط أسري ثري ومحافظ، وحسب ما روى في مذكراته، أنه كان أكبر من سنه بأعوام عديدة، كانت أمه تعلمه سورا صغيرة من القرآن بالإضافة إلى بعض الأحاديث النبوية، كما كانت توصيه بعدم مخالطة الأطفال في سنه وذلك خوفا من تعلم بذاءتهم، وعليه فقد لعبت أمه دورا كبيرا في توجيهه إلى الطريق السليم منذ نعومة أظافره أما بخصوص والده فلقد كان يصطحبه معه للصلاة ويحادثه في الحكمة والإرشاد ويحكي له أيضا عن جرائم الاستعمار الفرنسي وعن دناءته بالجزائر[2].

ويذكر المدني أن المدرسة الأولى التي أنشأته وربته هي تلك العائلة الصالحة التي تربى فيها بحيث أنها فتحت في وجهه أبواب الحياة الشريفة حياة التضحية والجهاد والفداء، فكل ما تعلمه بعد ذلك إنما كان في إطار تلك المبادئ التي تربى عليها، كما علمته أيضا عزة النفس وسمو الخلق وعليه فأسرة المدني لعبت دورا مهما في تكوين شخصيته وتنشئته تنشئة اجتماعية سليمة وصالحة[3].

كما ساهمت عائلة جده أيضا وخاله في نشأته، وذلك حسبما وصفها بقوله: "**أنها مدرسة حقيقية سامية الأهداف، رفيعة العماد، تحتوي على خير ما في الدين، وخير ما في الدنيا**"،حيث كان جده عمر بويراز يلقي عليهم كل ليلة دروسا في الدين، والأخلاق وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان يذكرهم بالاحتلال الفرنسي للجزائر ومآسيه وجرائمه، ويكلمهم أيضا عن حالة الإسلام والمسلمين وعن الجمود الذي حل بالأمة الإسلامية[4].

وبخصوص مدرسة خاله فيقول عنها: "**هي المدرسة التي أنارت فكري وأيقظت إحساسي واستفزت عاطفتي، وألفت بي في ميادين الحياة العامة، أصول فيها وأجول وأتبع تطوراتها بكل**

---

[1] مريم سيد علي مبارك، المرجع السابق، ص.71.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص .39، 42.

[3] المصدر نفسه، ص.38.

[4] نفسه، ص ص .44-46.

اهتمام، وأشعر أن إنقاذ الإسلام وإنقاذ الوطن إنما هو واجب حتمي ملقى على عاتقي أنا، لا يمكن أن أتخلص منه، ما دامت الروح الخالدة تسكن صد الجسم الفاني"[1].

ثانيا: تكوينه الدراسي

عندما بلغ أحمد توفيق المدني الخامسة من عمره أدخله والده الكتاب، لتعلم القرآن الكريم وكان يحفظ القرآن حفظ متقنا، بالإضافة إلى حسن سيرته وخلقه، ثم انتقل إلى المدرسة القرآنية الأهلية التي قام بتأسيسها جماعة من الفضلاء التونسيين[2]، وكان مديرها زيتونيا وهو محمد صفر فتلقى على يد شيوخها مبادئ اللغة العربية، وعلوم الدين، الحساب ،الكيمياء، الطبيعة ومبادئ اللغة الفرنسية[3]، ولما كان الوسط الذي نشأ وتربى فيه وسطا عربيا مسلما مشبعا بروح الثورة والنقمة على الاستعمار، شب مسلما عربيا تستثيره أمجاد العروبة والإسلام، يعتصره الألم والحزن مما يرى ويسمع من ظلم المستعمر واستبداده وقهره[4].

أنهى المدني دراسته بالمدرسة القرآنية الأهلية بعد أن خرج متشبعا بالعلوم التي كان يتلقاها من أساتذته الأجلة بحيث كان يلقب بخطيب المدرسة وكاتبها المبرز، فتعلم هناك أسلوب الخطاب فكان يلقي على زملائه وأساتذته مواضيع حول حالة الوطن والمسلمين وعن واجباتهم نحو الدين والوطن[5].

في سنة 1913م انتقل إلى الدراسة بجامع الزيتونة، وإلى جانب العلوم اللغوية، والدينية درس الفلسفة والتاريخ والاجتماع، وكما ورد عن لسانه، أنه اختار منهاج دراسة خاص به بجامع الزيتونة "**وأما بجامع الزيتونة فقد اخترت لنفسي منهاج دراسة خاص بي، لا أتقيد بصنف ولا أشارك في امتحان كنت أطلب العلم لأجل العلم لا لأجل منصب فاخترت لنفسي دروسا على جلة الأساتذة، كالشيخ النخلي في التفسير، الشيخ محمد بن يوسف في البلاغة، الشيخ الصادق النيفر في**

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص .48.

(2) محمد الصالح الصديق، **شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقف من الثورة التحريرية الجزائرية**، الجزائر، دار الأمة، 2002، ص 319.

(3) أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص .425.

(4) محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص .319.

(5) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .94.

الفقه، والشيخ ابن القاضي في النحو والصرف ... وكنت ألازم الدروس عشر ساعات كل يوم دون انقطاع... لكن لم يكن هذا كافيا بالنسبة لحبي للقراءة والمطالعة"[1].

كما دخل المدني المدرسة الخلدونية، التي تعد تكميلية للدراسة الزيتونية خاصة فيما يتعلق بالعلوم الرياضية والتاريخ العام، بحيث تأثر بأستاذ التاريخ حسن حسني عبد الوهاب فكان وراء توجيهه للاهتمام بالدراسات التاريخية[2].

وخلال دراسته بالمدرسة الخلدونية ظهرت كفاءته في الكتابة ودفعته إلى تحرير عدة مقالات وطنية وسياسية واجتماعيةّ، نشرها بجريدة الفاروق وكانت مقالاته تلقب بالنارية لأنه كان ينتقد فيها وبشدة سياسة الاستعمار التي تهدف إلى محاولة تحطيم الأخلاق الإسلامية والقضاء على اللغة العربية[3].

وعندما تم سجنه في شهر فبراير 1915م وسنه آن ذاك لم يتجاوز السادسة عشرة عاما، مكث فيه خمس سنوات بحيث اعتكف في هاته الفترة على دراسة كتب اللغة الفرنسية والعلوم الحديثة[4].

ثالثا: نشاطه الثقافي والسياسي بتونس

يعتبر أحمد توفيق المدني من بين الشخصيات الجزائرية التي كان لها دور كبير في التأثير على الحياة السياسية والثقافية وكذا الصحفية في تونس، بحيث ظهر نبوغه منذ أن كان صغيرا وذلك من خلال ما تميز به من استقامة في فكره مقارنة مع أقرانه في المدرسة، كما اشتهر بالذكاء والسلوك الحسن، ضف إلى ذلك التمسك بالمبادئ الإسلامية التي تربى عليها، فهذه الصفات أهلته ومكنته من أن يحظى بمكانة مرموقة من المحبة والاحترام والتقدير وسط محيطه الذي كان يعيش فيه.

---

(1) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .95.

(2) بوعلام بلقاسمي وعبد القادر خليفي وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة**، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات، 2007، ص 131.

(3) بلقاسم ميسوم، **الكتابات التاريخية الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية (1830-1962) دراسة تحليلية**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ و الآثار، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001، ص .170.

(4) محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص ص .319- 320.

1- نشاطه الصحفي:

لقد ظهر اهتمام المدني بالمجال الصحفي منذ صغره، حيث كان وهو في العاشرة من عمره يقرأ الصحف ويملأ جزءا من فراغه بالحديث عن القضايا السياسية التي كانت تعيشها الأوساط التونسية آنذاك، وكان زملاءه من التلاميذ يلتفون حوله وهو يقرأ لهم عن الحوادث ويعلق عليها ومن بين الصحف التي كان يطالعها في هذه الفترة "العروة الوثقى" ، "المؤيد"، "اللواء"[1]

-جريدة الفاروق:

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى 1914م، ولج أحمد توفيق المدني عالم الكتابة الصحفية وعمره آنذاك الخامسة عشر عاما، وذلك عندما كتب في جريدة الفاروق[*] التي كان يصدرها الجزائري **عمر بن قدور، حيث أخذ يكتب مقالات ينتقد فيها وبشدة سياسة الاستعمار الفرنسي التي كانت ترمي إلى محاولة تحطيم الأخلاق الإسلامية، والقضاء على اللغة العربية، وكان أول مقال لمؤرخنا في نوفمبر 1914م تحت عنوان: "الإدمان أول وزراء الموت"[2] فموضوع المقال كان يتحدث عن الموت التي اجتمعت بطبقة النبلاء لكي تعين وزيرا عليهم، فوصف فيه أضرار الخمر، ومدى تأثيرها على عقول البشر ودورها في ارتكاب الجرائم وانعكاساتها على المجتمع والبشرية جمعاء، بالإضافة إلى كونها سببا في موت الكثير من الأشخاص، وخلاصة المقال أن الإدمان هو الذي نال جائزة الملكة الذي تمادى في المعاصي وأصبح عاملا رئيسيا في الموت[3].

والمقال الثاني بتاريخ: 04 ديسمبر 1914م تحت عنوان "دعوة إلى الواجب أو المرأة التونسية والتعليم" حيث حاول من خلال هذا المقال معالجة ظاهرة اجتماعية في تونس متعلقة

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص .24- 28.

(*) **جريدة الفاروق:** هي جريدة جزائرية لصاحبها عمر بن قدور صدرت بالجزائر وتوقفت سنة 1915 **يراجع:** مفدي زكريا، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص .58.

(**)**عمر بن قدور**: (1886- 1932م) صحفي جزائري ومن أبرز المناضلين قلما و فكرا و علما عرف باتجاهه الإصلاحي ،كان مناضلا متحمسا مهتما بقضايا الأمة العربية و الإسلامية ،ورئيس تحرير جريدة الفاروق **يراجع:** مفدي زكريا، المرجع السابق ص61

[2]محمد بوطيبي، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين (1900، 1930)**، الجزائر، دار الهدى 2012، ص .172

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .76.

بالوطنية عند البنات والبنين، وإنشاء أسرة تونسية مبنية على أساس العلم والإخلاص، ولكن للأسف لاحظ المدني بأن النتائج مخيبة للأمل لأن البنات أصبح همهن في تعلم اللغة الأجنبية والغناء وغيرها من السلوكات الغربية كما تطرق أيضا إلى حرية النساء والتمدن التي غرست في بنات المسلمين بسبب غفلة أوليائهن وصرن يمشين على النمط الغربي[1].

المقال الثالث: بعنوان "كيف ننقذ وطننا" في 27 ديسمبر 1914م تحدث فيه عن الأسباب التي أدت إل تدهور الوطن وعدم الاستقرار والفوضى التي تعيشها تونس، ومن بين هذه الأسباب هو ترك المبادئ والقيم الإسلامية والتقليد الأعمى للغرب في السلوك والمأكل والمشرب، بالإضافة إلى عرضه للوسائل والتدابير التي يجب اتخاذها لإنقاذ الوطن من الجهل والفساد الذي يعيش فيه[2].

وبعد الحرب العالمية الأولى وتكوين الحزب الحر الدستوري، قام أحمد توفيق المدني بتعريب مقال بالفرنسية أصدرته المجلة البرلمانية التونسية والمقتبس من كتاب تونس الشهيدة لمؤلفه الشيخ عبد العزيز الثعالبي وتم نشره في جريدة المشير[*] وبسبب ذلك أقدمت السلطات الفرنسية بتعطيل الجريدة في 1922م، كما أشرف على تحرير الشؤون الإدارية لمجلة الفجر التي أصدرتها الحزب عام 1920م، بالإضافة إلى نشره مقالات في الجرائد الأمة، الصواب، الاتحاد، العصر الجديد الوزير وإفريقيا[3].

من خلال عرضنا للنشاط الصحفي للمدني يمكننا القول بأن المسار الصحفي الذي سلكه المدني كان يهدف إلى نهضة الشعب التونسي، وتحفيزه على الثورة وتغيير الأوضاع السيئة التي كان يعيشها، بالإضافة إلى اهتمامه بالكتابة الصحفية التي تختص بقضايا الأمة العربية الإسلامية (مصر، فلسطين، تركيا) دفاعا عنها ومساندتها، كما كانت مقالاته تتصف بالحماسة الملتهبة والنقد اللاذع للإدارة الاستعمارية، ولهذا السبب تعرضت العديد من الصحف السابقة الذكر إلى الغلق والتعطيل والرقابة العامة عليها[4].

---

[1] محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص .173.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص .117- 118.

(*) **المشير**: جريدة عربية تونسية تأسست في 10 جانفي 1911م وصاحب امتيازها الشيخ الطيب بن عيسى. **يراجع**: محمد بوطيبي ، المرجع السابق، ص .170.

[3] محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص .170.

[4] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .164.

2- في المجال الثقافي والفكري:

2-1- تأسيس المجمع العلمي التونسي:

نظرا للنقص العلمي الكبير الذي كانت تعيشه تونس في تلك الفترة شارك أحمد توفيق المدني رفقة عدد من المناضلين التونسيين في تأسيس مجمع علمي بتونس بمقر نادي قدماء الصادقية بحيث تشكلت لجنة ضمت كل من المدني عثمان كعاك، زين العابدين السنوسي، الطاهر صقر محمد بن حسين، وقرروا إنشاء هذا المجمع الذي يهدف إلى رفع المؤهلات العلمية بتونس والنهوض بالواقع العلمي والثقافي، كما لعب المدني دورا كبيرا في إعداد وإخراج القانون الأساسي للمجمع وذلك بصفته أحد أعضاء إدارة المجمع[1].

كان الهدف من تأسيس هذا المجمع يتمثل في:

- ✓ إيجاد الألفاظ العلمية والعملية التي تحتاجها اللغة العربية من أجل تحقيق الرقي العلمي والتطور الاجتماعي.
- ✓ البحث عن آثار التونسيين العلمية والفنية.
- ✓ تعميم العلم وتنشيطه[2].

وتم تقديم القانون الأساسي للحكومة بهدف الموافقة عليه وقدم لكل من الوزير الأكبر للدولة التونسية، ووكيل الجمهورية العام المراقب المدني بتونس يوم 15 ماي 1924م غير أن لجنة المجمع لم يصلها أي رد على الموافقة الحكومية، إلى غاية إبعاد المدني إلى الجزائر فتوقف بذلك المشروع ولم يتحقق[3].

2-2- تأسيس الرابطة القلمية:

في إطار رفع المستوى العلمي والفكري والاجتماعي والدفاع عن حرية الفكر والتعلم، اتفق المدني رفقة مجموعة من الكتاب والمفكرين على تأسيس عصبة تحت اسم "الرابطة القلمية" بتونس في 1342هـ-1924م ومن بين المبادئ التي تنص عليها هذه الرابطة ما يلي:

- ➢ التزام الكتاب والمفكرين برفع المستوى العلمي والسياسي والاجتماعي للشعب التونسي.
- ➢ التزام الكتاب والمفكرين بالابتعاد عن خدمة مصالحهم الشخصية.

---

[1] محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص ص .173- 174.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .449

[3] المصدر نفسه، ص .451.

➢ التزام هؤلاء المفكرين المنضمون لهذه العصبة بالدفاع التام عن حرية القلم والفكر[1].

تقلد المدني منصب كاتبا عاما لهذه الرابطة وزين العابدين السنوسي أمينا مال، ومحي الدين القلبي وعثمان كعاك كاتبين لها، إلا أن هذه الرابطة لم تعمر طويلا وبصدور القرار الفرنسي بإبعاد أحمد توفيق المدني انهارت الرابطة سنة 1925م.

كما شارك مؤرخنا في المهرجانات الفكرية والمسرحية، وأسس فرقة السعادة سنة 1924م التي كانت تعكس تبلور المسرح السياسي في الحياة التونسية، حيث كانت مواضيعها تحارب الاستبداد والقمع الاستعماري، ونظرا للتجاوب الشعبي الكبير الذي لاقته هذه الفرقة قامت السلطات الفرنسية بإبعاد رئيسها المدني إلى الجزائر 1925م وبذلك توقفت[2].

3- نشاطاته السياسية:

3-1- أثناء الحرب العالمية الأولى:

تعتبر معركة الزلاج أولى المشاركات السياسية لأحمد توفيق المدني بتونس، بحيث كانت هذه المعركة مكيدة استعمارية كما وصفها المدني أراد الاستعمار من ورائها القضاء على الحركة الوطنية الناشئة والتخلص من النخبة التونسية التي أخذت تظهر للوجود، ويصف المدني نشاطه أثناء أحداث الزلاج قائلا: "**كنت من بين الذين يطوفون على الأسواق والمقاهي أنادي بأعلى صوتي، نموت ولا نسلم زلاجنا، ويتأثر الناس بكلماتي... كان مجال عملي طوال أيام الأحداث بين الأسواق بتونس وبطحاء الحلفاوين**"[3].

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى 1914م ظهرت فكرة إعلان الثورة بتونس، بإيعاز من المدني والصادق الرزقي في سبتمبر 1914، بالاشتراك مع مجموعة من الشباب التونسي المتحمس مثل: أحمد نجاح، محمد النيفر، محمد السعيد الخلصي، الهادي مزاح وقاموا بوضع خطة تكونت من النقاط التالية:

* بث دعاية واسعة لدى الشعب التونسي ضد التجنيد الإجباري الذي فرضته فرنسا.
* مواجهة فكرة الخمول واليأس التي أصابت المجتمع التونسي إثر حوادث الزلاج.
* التنسيق مع قبائل الجنوب للتصدي للجيش الفرنسي.

---

(1) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**،ج1 ، المصدر السابق ، ص .333.

(2) المصدر نفسه، ص .334.

(3) نفسه، ص ص .70- 71.

* الاعتماد على الطلبة الزيتونيين الجزائريين (تبسه، عين البيضاء، قسنطينة) لبث الدعاية.
* إنشاء شفرة خاصة بمعنى خط سري[1].

وتم تكليف المدني بالاتصال والتنسيق مع المناطق الجنوبية، مثل علي فارس وذلك بهدف إحضار الأسلحة ولكن بشكل سري من خلال التستر وراء تجارة التمر، ولسوء الحظ ونظرا لوشاية أحد الذين يعرفون المدني المدعو "عم البشير بوخريص" والذي كان أحد جواسيس فرنسا تم إبلاغ الأمر إلى الأمن الفرنسي وألقي القبض عليه[2].

3-2- مرحلة السجن:

من خلال ما سبق تم سجن أحمد توفيق المدني من طرف السلطات الاستعمارية واتهمته بتعليق المنشورات التي تحث الجيش عن العصيان، وسنه لم يتجاوز الخامسة عشرة سنة، وقاموا بتفتيش بيته ووجدوا مراسلات تمت بينه وبين السيدين الشيخ عمر بن قدور وحسين الجزائري وعليه تم إيقافه يوم 26 فيفري 1915م وزج به مباشرة في السجن المدني بتونس، وبهذا يتضح لنا أن سجنه كان بسبب مناهضته للسياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس، من خلال المنشورات والمقالات التي كان ينشرها والتي كانت تنتقد وبشدة الإدارة الاستعمارية وسياستها القمعية بالبلاد[3].

قضى المدني 5 سنوات داخل زنزانة انفرادية، استطاع بصبره ومثابرته وعزمه أن يحول فترة السجن إلى مرحلة تكوينية، إذ أنه أحسن استغلال سنوات السجن فتعلم علوم الدين وأصول اللغة العربية، وطالع كتب الفلسفة والسياسة بالإضافة إلى تعلمه للغة الفرنسية، فأثرى مداركه وكون لنفسه فكرة اجتماعية رائدة[4]، ويصف المدني سنوات السجن قائلا: "**وغادرت السجن أقوى ما أكون جسما، وأمتن ما أكون عضلا، وأظهر ما أكون عقيدة، وأقوى ما أكون أملا**"[5].

---

[1] محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص .154.

[2] المرجع نفسه، ص .155.

[3] أحمد بن جابو، **المهاجرين الجزائريين ونشاطهم في تونس (1830- 1954)**، أطروحة دكتوراه، جامعة بلقايد، تلمسان 2010-2011، ص .220.

[4] محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، الجزائر، (ش. و. ن. ت)، 1981، ص .446.

[5] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص ص .200-204.

بعد خروجه من السجن وتشبعه الفكري والسياسي من الجرائد والصحف التي كانت تصله من طرف عائلته وتفرغه تماما للحياة النضالية[1]، بدأ بممارسة النشاط السياسي والاتصال ببعض السياسيين، وعقد اجتماعات سرية وكان أول لقاء أو اجتماع سري سياسي للمدني في سنة 1920م، في مطبعة محمد التليلي[*] بحيث حضرته ثلة من السياسيين التونسيين إذ تم في هذا الاجتماع مناقشة قضية طرح القضية التونسية في مؤتمر الصلح، وخلال هذا الاجتماع تعرف المدني على الشيخ عبد العزيز الثعالبي، كما تم التوصل إلى ضرورة مشاركة الوفد التونسي في مؤتمر الصلح والتنسيق والتشاور مع وفود البلدان العربية الحاضرة[2].

3-3- <u>نشاطه في الحزب الدستوري الحر التونسي</u>:

يعود تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي إلى إخفاق عبد العزيز الثعالبي في مسعاه عشية انعقاد مؤتمر الصلح حيث يذكر أحمد توفيق المدني أنه في شهر فيفري 1920م وصلت رسالة من الشيخ الثعالبي قرأتها بنفسي يقول فيها:

- ✓ أن مبادئ ولسون التي تنادي بحق الشعوب بتقرير مصيرها قد أخفقت، وأن الآمال المبنية عليها قد انهارت وعلمت الشعوب العربية كلها أنها لن تنال حقها إلا بجهودها ونضالها لهذا ألزم الأمر الاستعداد لكفاح طويل ومرير، ضف إلى ذلك أنه لم يعد المطالبة بإلغاء نظام الحماية وكما وصفه أنه قول لا يسمع له أحدا اليوم.
- ✓ يجب المطالبة بإعلان الدستور التونسي وأخذ زمام الأمور بأيدينا.
- ✓ يجب أن يتطور الحزب وينظم ويجب أن يطلق عليه اسم "الحزب الحر الدستوري التونسي" وذلك لأنه يضم كل الطبقات التونسية.
- ✓ من خلال عرضنا لمقتطفات من رسالة عبد العزيز الثعالبي يتبين لنا أن الدعوة لإنشاء الحزب الحر الدستوري التونسي كانت في 14 مارس 1920م.[3]

---

[1] جيلالي صاري، **<u>بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850- 1950)</u>**، ترجمة: عمر المعراجي، الجزائر، (د.د.ن)،2007، ص.280.

(*) محمد التليلي: ولد عام 1880، درس بالصادقية، اشتغل بالطباعة والنشر وتحصل على امتياز جريدة الزهرة، **يراجع:** بوطيبي محمد، المرجع السابق، ص .154.

[2] محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص ص .155- 156.

[3] المرجع نفسه، ص .157.

يقول المدني "**وهكذا فإن جماعة... أعلنوا تأسيس الحزب الحر الدستوري... وعزموا على إرسال الوفد إلى باريس بأسرع وقت ممكن..**" ويضيف قائلا: "**وكنت والحمد لله من بين ذلك الرعيل الأول الذي أدى القسم وأوفى بما عاهد الله عليه**"[1].

وبذلك بدأ المدني نشاطه السياسي في الحزب سنة 1920م وكان متحمسا للقضية التونسية وربط علاقات مع الأعضاء وفي اجتماع 20 ماي 1921م في منزل حمودة المستيري طلب عبد العزيز الثعالبي من الحاضرين وجوب انتخاب أحمد توفيق المدني أمينا عاما مساعدا يتولى القلم العربي باللجنة التنفيذية للحزب[2].

كما كان له دورا أيضا في تأسيس نقابة عمالية تونسية وجمع شتات العمال وإنقاذهم من الخطر الداهم بطريقة ذكية بالإضافة إلى المطالبة بحقوق الحركة العمالية بمساعدة بعض السياسيين في الحزب الحر الدستوري مثل الطاهر صفر، الطاهر الحداد، أحمد الدرعي، محمد علي الحامي، كما عمل المدني على تقريب الحركة العمالية من الحزب الدستوري التونسي وذلك من خلال جمع الأموال لها[3].

وبفضل ما أوتي المدني من وطنية وحماس تبوأ بمراكز هامة في إدارة الحزب الحر الدستوري حيث كان ضمن الوفد الثالث[*] الذي ذهب إلى فرنسا في 29 نوفمبر 1924م، ليفاوض من أجل حل القضية التونسية وكان له دورا كبيرا في التعبئة الجماهيرية للقيام بثورة ضد الأوضاع السائدة في البلاد من خلال الاجتماعات التي كان يعقدها في كل أنحاء التراب التونسي واستطاع بذلك أن يؤسس أكثر من 130 شعبة دستورية[4].

3-4- تأسيس لجنة الخلافة الإسلامية:

من بين أهم الإسهامات التي قام بها المدني بتونس في المجال السياسي هو مبادرته بإنشاء جمعية الخلافة الإسلامية حيث كانت اجتماعات اللجنة كلها تنعقد في منزله، ومن بين الأهداف التي كان يرمي إليها المدني من خلال تأسيس هذه اللجنة هو اغتنام فرصة حماس الجماهير من

---

(1) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .173.

(2) خير الدين شترة، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص .103.

(3) المرجع نفسه، ص .106.

(*) ينظر الملحق رقم: 02.

(4) خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص .164-169.

أجل تحريك الساحة السياسية الراكدة وجلب المال الذي يحتاجه مع العلم أن هذه اللجنة تعمل في استقلالية نسبية عن الحزب الحر الدستوري كما سجل المدني موقف اللجنة من مسألة إلغاء الخلافة منذ بداية مارس 1922م، هذا ما أثر بالإيجاب على الرأي التونسي بحيث ساند هذا الأخير لجنة توفيق المدني ورفقائه في استيائهم منذ الإعلان عن قيام الجمهورية التركية وإلغاء الخلافة العثمانية الإسلامية كما قامت اللجنة بإرسال برقيات احتجاج ومعارضة إلى الكماليين ممثلي الدولة التركية الجديدة[1].

رابعا: ظروف إبعاده من تونس إلى الجزائر

في ظل ازدياد النشاطات السياسية والثقافية للمدني بتونس وخصوصا بعد إطلاق سراحه من السجن وانضمامه إلى الحزب الحر الدستوري التونسي، حيث اتخذ المنحى أو المسار الثوري العلني والصريح، من خلال فضحه لنوايا فرنسا بتونس ودفاعه عن قضايا الأمة العربية في جميع أقطار العالم الإسلامي من خلال المقالات التي كان ينشرها في صحف الحزب ضف إلى ذلك النشاطات السياسية السابقة الذكر كدوره في الحركة العمالية التونسية، هذا ما جعل السلطات الفرنسية تتهمه بالانتماء إلى الشيوعية الدولية[2].

إن النشاط السياسي للمدني لم يقتصر على الدفاع عن القضية التونسية فحسب، بل تعداه ليشمل العديد من قضايا البلدان العربية الإسلامية بحيث بادر لتنديد ومعارضة الحرب التي كانت تخوضها فرنسا آنذاك في المغرب الأقصى ضد عبد الكريم الخطابي وذلك قصد السيطرة على الريف المغربي، وهذا ما جعل المدني ينشر مقالا في جريدة إفريقيا حول حرب الريف والمجاهد عبد الكريم الخطابي بعنوان "الحقيقة من حوادث الريف ليحيا الريف مستقلا"[3]، مجد من خلال هذا المقال الرجل البطولي عبد الكريم الخطابي، بالإضافة إلى فضحه للأساليب الفرنسية، وذمه للطبقات العميلة التي سايرت فرنسا وخدمتها هذا ما جعل السلطات الفرنسية تبعده نحو الجزائر

---

[1] خير الدين شترة، المرجع السابق، ص ص .106- 107.

[2] محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص .176.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص .456.

بعد تحقيق مع السيد كامبانا في 25 جوان 1925م،صدر قرار بإبعاده(*)وتم تسليمه إلى مفتش أمن عنابة وبذلك انتهى عهد المدني بتونس.[1]

وبنهاية نضاله بتونس، كتب عنه الشاذلي خزنذار شعرا يعترف من خلاله ببطولاته ومواقفه حيث يقول:

هذا الأبي التونسي هذا هو الوطني المجد
هذا هو المنصور بل هذا هو المدني أحمد
هذي المنابر تعرفه سلوها ثمة تشهد
هو خادم لبلاده ولدين سيدنا محمد[2].

ونظرا لما حظي به المدني من عزة في نفوس الشعب التونسي قوبل قرار إبعاده من طرف الجماهير بمظاهرات واضطرابات تضامنا معه واستياء على ما وقع له[3].

استقر المدني بالعاصمة عند أقربائه، وولج عالم التجارة وذلك لتغطية حاجاته من خلال فتحه لدكان بقلب الجزائر (شارع بوتان رقم 4)، تحت اسم (مستودع التونسي) خصصه لبيع السلع التونسية مثل الشاشية ،و في نفس الوقت كان على اتصال بالعلماء مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس ، البشير الإبراهيمي ، مبارك الميلي، وخلال تواجده بالجزائر قرر المدني الزواج سنة 1928م[4]، ومن مآثر المدني في خدمة القضية التونسية حتى بعد إبعاده إلى الجزائر هو مساهمته في فتح منبر نادي الترقي 1927م وجعله بمثابة جسرا للتبادل بين المثقفين التونسيين والجزائريين[5].

(*) ينظر الملحق رقم: 03.

(1) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح** ، ج1 المصدر السابق ، ص .157.

(2) محمد بوطيبي، المرجع السابق، ص.176.

(3) خير الدين شترة، المرجع السابق، ص.106.

(4) أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص.98.

(5) خير الدين شترة، المرجع السابق، ص.107.

استنتـــــاج:

وفي نهاية الفصل نخرج بمجموعة من الاستنتاجات أهمها:

1- أول ما يلاحظ في حياة الأستاذ أحمد توفيق المدني أنه نشأ وتربى في وسط عربي إسلامي مشبع بالثورة والكراهية للاستعمار.

2- أن المدني أظهر براعته في المجال الصحفي والثقافي منذ أن كان صغيرا وهذا إن دل إنما يدل على نبوغه الفكري.

3- دخل السجن وسنه 16 سنة إلا أن مرحلة السجن لم تنل من معنوياته بل ضاعفت من عزيمته وقوته وعمقت كراهيته وبغضه للاستعمار كما كانت بمثابة مرحلة تكوينية له.

4- كانت له مواقف سياسية مشرفة وجلية في إطار الدفاع عن القضية التونسية.

5- أنه تم إبعاده من تونس إلى الجزائر بسبب ازدياد نشاطه السياسي هذا ما شكل خطرا على الإدارة الاستعمارية.

الفصل الأول:
نشاطه الثقافي في الجزائر (1925-1962)

أولا: مساره الصحفي

ثانيا: إسهاماته في الكتابة التاريخية

ثالثا: دوره الثقافي بالحكومة المؤقتة الجزائرية

تمهيـــد:

سأتناول في هذا الفصل نشاطه الثقافي بالجزائر خلال الفترة الممتدة من 1925-1962م حيث انطوت تحته ثلاث عناصر:

أولا سأعرض مساره الصحفي من خلال الشهاب والبصائر حيث كان له دورا فعالا فيهما ثانيا سأتناول فيه إسهاماته في الكتابة تاريخية حيث سأقوم بعرض الرصيد الفكري للمدني من خلال دراسة مجموعة من أبرز مؤلفاتهحيث اخترت المؤلفات التي تزامن تاريخ اصدارها مع الفترة الزمنية للدراسة و التي تمثلت في(كتاب قرطاجنة في اربعة عصور، كتاب الجزائر، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا حنبعل) بالإضافة إلى تقديمي لبطاقة تعريفية للمؤلفات الأخرى، أما ثالثا فخصصته للنشاط الثقافي للمدني في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سأعرض مهامه باعتباره وزير للثقافة آنذاك.

أولا: مساره الصحفي:

كانت الصحافة ولا تزال تتطلب مجهودات وخصال حميدة من أصحابها حتى تتمكن من تأدية رسالتها إلى المجتمع، وقد وصفها جوت jot بقوله: "**الجرائد مدارس متنقلة وليست محصورة بين الجدران، ولا يختص بها مكان دون مكان آخر، وهي أوسع دائرة للإرشاد من كل دوائر التعليم، تهذب العامة وترتب أفكار الخاصة، وتقرب الأمم المتباعدة وهي سجل الأخبار ووعاء التاريخ وتقويم الزمن**"[1].

ولقد كان هدف العلماء المصلحين الجزائريين هو إصلاح المجتمع، في كل جوانبه والنهوض به، لذلك اتخذوا من الصحافة وسيلة أساسية منذ 1925م لنشر أفكارهم ومحاولة التخلص من الجمود الذي سيطر على المسلمين في الجزائر حوالي قرن من الزمن[2].

ومن أهم الصحف التي صدرت في فترة 1925م والتي كان للمدني دورا فعالا فيها هي الشهاب والبصائر.

1-دوره في مجلة الشهاب:

الشهاب هي عبارة عن مجلة إصلاحية أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس في 1925/11/12م وتعتبر ثاني أهم صحيفة له وأطولها عمرا بعد صحيفة المنتقد، كانت تطبع بالمطبعة الإسلامية بقسنطينة، التي أنشأها ابن باديس وكان يديرها ويشرف عليها كل من أحمد بوشمال، الزواوي، بن القشي، صدرت في البداية في شكل جريدة أسبوعية وفي 1929/02/01م تحولت إلى مجلة[3].

كما سايرت التطورات السياسية والاجتماعية والفكرية، وتم تصنيفها كصحيفة سياسية تهذيبية انتقادية تدافع عن حقوق الجزائريين، كما كانت تدعو للمشاركة السياسية ومحاربة الاندماج والبدع والطرق الصوفية الموالية للإدارة الاستعمارية ولقد مرت الشهاب بمرحلتين:

---

(1) عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)**، الجزائر، عالم المعرفة، 2008، ص ص. 129.

(2) المرجع نفسه، ص. 130.

(3) فضيل دليو، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830-2013)**، الجزائر، ط.1، دار هومة، 2014، ص. 86.

المرحلة الأولى: من (1925-1937م) اتبعت في هذه المرحلة سياسة اللين وعدم مجابهة السياسية الفرنسية.

المرحلة الثانية: من (1937-1939م) تسمى بمرحلة اليأس حيث خاب أملها في الوعود الفرنسية فرفعت شعار "**لنعول على أنفسنا ولنتكل على الله**" وهنا بدأت تتكلم على استقلال الشعوب كحتمية تاريخية[1].

وكان أحمد توفيق المدني هو المحرر السياسي لها، وكان من كتابها حيث اختص بكتابة المقالات سياسية في ركن "في الشمال الإفريقي" ضف إلى ذلك كانت لديه بعض المقالات عن المجتمع الجزائري.

ويقول المدني عن نشاطه بالشهاب "**صلت وجلت في الشهاب صولات عميقة، وجولات عريقة، ما يزيد عن عشر أعوام، منذ الشهاب الأسبوعي إلى نهاية الشهاب الشهري، وما كنت أكتب في الشهاب إخباريا، إنما كنت توجيهيا... كنت أفكر في الجزائر وأقول لها من طرف خفي إياك عني فاسمعي يا جارة، وفي السياسة الداخلية كنت أكثر الناس صراحة وأشدها جرأة...**"[2].

وتفاديا لمضايقات الإدارة الاستعمارية الفرنسية فقد كان المدني يكتب مقالاته باسم مستعار وهو "المنصور"[3].

كما تنوعت مقالاته بالشهاب منها من كانت موجهة للشعب الجزائري مثل مقال "الجزائر البائسة" والذي تطرق فيه إلى وضعية الشعب الجزائري ،وعمل على حثه وتشجيعه على الثورة ضد السياسة الفرنسية والعمل على تغيير الأوضاع التي آلت إليها الجزائر[4]، ومنه ما كان موجها للإدارة الاستعمارية مثل مقال بعنوان "كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع" وكان هدف

---

(1) فضيل دليو، المرجع السابق، ص. 87.

(2) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2،المصدر السابق، ص.397.

(3)Fatima Zohra Guechi, **la presse algérienne de la langue arabe (1946-1954), (enjeux politiques et jeux de plumes),** Algérie, bahaeddine éditions, 2009,p.139.

(4) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص.399.

-ويقول محمد الطاهر فضلاء أن المدني لم تكن له ولا كلمة لا في الركن السياسي ولا حتى في صفحة الإعلانات لمجلة الشهاب ولكن نجد كل الدراسات التي تناولت العمل الصحفي ل ج. ع. م. ج أكدت نقيض هذه الدعوة. **يراجع: التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح**، الجزائر، دار البعث، 1982، ص ص.50-51.

المدني من كتابة هذا المقال الرد على الطروحات القائلة أن الجزائر فرنسية حيث بين لنا موقفه المعارض لسياسة الإدماج التي نادت بها الإدارة الاستعمارية، كما تميز أسلوبه في المقالات التي كتبها بالشهاب بالشدة والنقد اللاذع للاستعمار[1].

وفي سنة 1939م تم إيقاف الشهاب وذلك بسبب عدم تأييدها لفرنسا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية[2]، وبهذا الصدد يقول الإمام عبد الحميد بن باديس: " **لن أوافق على إرسال برقية تأييد للحكومة الفرنسية ولو قطع رأسي**" كما علق المدني أيضا قائلا: "**وهكذا فقدت الآلة الصالحة التي كنت استعملها في حقل الوطنية والسياسة فقدت أبواب الشهاب التي كانت وسيلتي للاتصال المباشر مع الشعب ومع الطبقة الواعية...**"[3].

وعليه فقد كان دور المدني بارزا في مجلة الشهاب هاته الأخيرة التي لعبت دورا كبيرا في التاريخ للنهضة الفكرية الحديثة بالجزائر من خلال المساهمة في إحيائها بفضل مجهودات رجال الإصلاح الذين تولوا أمر تنظيمها وإدارتها.

2-نشاطه في جريدة البصائر:

يرجع تاريخ صدور جريدة البصائر إلى (1935/12/27م)، ولقبت باللسان الرسمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كانت تحمل شعار "**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْهَا بِحَفِيظٌ**"(سورة الأنعام الآية: (140)، تعاقب على رئاسة تحريرها كل من الطيب العقبى، مبارك الميلي، البشير الإبراهيمي، وتعتبر أهم صحيفة عرفتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، كما كانت توزع في كل من تونس والمغرب أيضا بالرغم من رفض الاحتلال لذلك دام إصدار سلسلتها الأولى إلى غاية قيام الحرب العالمية الثانية 1939م حيث توقفت بسبب رفضها لطلب فرنسا بكتابة دعاية ضد دول المحور[4].

---

[1] المنصور، "**كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع**"، مجلة الشهاب، م13، ج9، المطبعة العربية الإسلامية، قسنطينة – الجزائر، نوفمبر 1937، ص. 303.

[2] فضيل دليو، المرجع السابق، ص. 87.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص. 274.

[4] فضيل دليو، المرجع السابق، ص. 97.

ثم ظهرت في سلسلة ثانية من جديد سنة 1947م واستمرت قرابة عقد من الزمن (1947-1956م) كان رئيس تحريرها الشيخ البشير الإبراهيمي ثم أناب عنه بعد ذلك الشيخ أحمد توفيق المدني[1].

كما كانت البصائر جريدة راقية وذات مستوى أدبي ممتاز، بالإضافة إلى اهتمامها بالجانب الديني للقضايا العربية والحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي[2]، كما كان المدني يتولى تحرير ركن منبر السياسة العالمية بالبصائر باسم مستعار "أبو محمد" كما ذكرنا سالفا تعمد المدني إخفاء اسمه في مقالاته من أجل تمويه الإدارة الاستعمارية وتجنب مضايقاتها[3].

وفي ركاب الثورة الجزائرية وبعد سفر البشير الإبراهيمي للقاهرة، تولي المدني بتفويض من المجلس الإداري التصرف بجريدة البصائر وتحريرها، حيث عرفت البصائر ازدهار كبير في فترته ضف إلى ذلك أن مقالاته لم تعني بالقضية الجزائرية فقط بل أنه كتب عن العديد من القضايا العربية مثل قضية المغرب الأقصى تضامنا مع الملك محمد الخامس[4].

ضف إلى ذلك فقد قلة معالجة القضايا المحلية الجزائرية في مقالاته بجريدة البصائر حيث كانت تخدم القضايا العربية بالدرجة الأولى.

وبهذا الصدد فقد تساءل الكاتب عبد اللطيف القنيطري عن أسباب هذا الغياب فوجه خطابه إلى أحمد توفيق المدني باعتباره محرر ركن منبر السياسة العالمية، في مقال بعنوان "إلى أبي محمد"[5].

هذا ما اعتبره المدني تشويه لسمعته، ومحاولة تكذيب مجهوداته السياسية والصحفية، حيث رد عليه أن الأمر يتعلق بتقسيم العمل من قبل الرئيس، حيث أنه أسند إليه الجانب الخارجي، أي الكتابة في القضايا العربية الخارجية قائلا: "**إذا أمسك -أبو محمد - بقلمه وأخذ يسطر فوقا**

---

(1) أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بيروت-لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1990، ج4، ص ص. 87- 88.

(2) فضيل دليو، المرجع السابق، ص.98.

(3) Fatima Zohra Guechi, ibide, p.141.

(4) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص.93.

(5) عبد اللطيف القنيطري، "**إلى أبي محمد**"، البصائر، ع46، 1948، الجزائر، ص.341.

لقرطاس كلماته، فإنه لا يضع أمامه إلا الحقائق الناصعة... ولا يحكم فيها، إلا بفكره وضميره غير خاضع لأي تأثير أجنبي، حزبيا كان أو دوليا..."[1].

وأضاف يقول: "**كما لا يخاف محرر هذا القسم طائلة أي مستعمر ظالم... فقلمه وقف على مقاومة كل استعمار، ومحاربة كل تسلط، ونصرة كل مظلوم، وخدمة كل شعب يجاهد في سبيل حريته واستقلاله...**"[2].

والدليل على ذلك مقاله الذي نشره بالبصائر بعنوان: "أفظع جرائم الاستعمار" ذكر فيه جرائم الاستعمار المتتالية على الجزائر، والنكبات التي حلت بها[3].

ضف إلى ذلك له عدة مقالات في العديد من المجلات والجرائد المحلية خلال الفترة الممتدة من (1925-1962م)، فكتب في مجلة التلميذ عدة مقالات امتازت كلها بالطابع الإصلاحي، حيث كانت هذه المجلة شهرية تصدر باللغة العربية والفرنسية وكانت تابعة للجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين في إفريقيا الشمالية[4]، كما كان له مقالات في [*]جريدة الإصلاح حيث كان يحرر فيها ركن أسبوع في العالم، وجريدة[**]النجاح، وكذا مجلة إفريقيا الشمالية[5].

---

[1] أبو محمد، "**من أبي محمد**"، البصائر، ع49 ،1949، الجزائر، ص.349.

[2] المرجع نفسه، ص.350.

[3] محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص.328.

[4] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية (1930-1945)**، (بيروت، لبنان)، ط.4، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج3، ص. 106.

[*] **الإصلاح:** أصدرها الطيب العقبي بمساعدة محمد العيد آل خليفة في 08-09-1927م، بالعاصمة، توقفت سنة 1930م وفي سنة 1947م صدرت سلسلة ثانية وفرضت عليها الرقابة الفرنسية على محتواها. **يراجع:** ناصر محمد الصالح، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954م**، الجزائر، ط.2، ألفاديزاين للنشر، 2006، ص ص.93- 95.

[**] **النجاح:** تأسست في 1919/08/01م لمؤسسها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي والمشاركة التحريرية للجريدة كانت للشيخ الأمين العمودي وابن باديس في البداية الأولى، وكانت تصدر بقسنطينة، وقد عمرت النجاح طويلا بقيادة الهاشمي ثم مامي إسماعيل حتى تم إيقافها في 1956/09/01م.**يراجع:** فضيل دليو،ا لمرجع السابق، ص ص.80- 81.

[***] **إفريقيا الشمالية:** صدرت في 1946م للأديب إسماعيل العربي وكانت تجمع بين التيار الإصلاحي للعلماء والاتحاد الوطني لحزب انتصار الحريات الديمقراطية. **يراجع:** فضيل دليو، المرجع السابق، ص.104.

[5] عبد المالك مرتاض، **نهضة الأدب العربي الحديث والمعاصر في الجزائر (1925-1954) (النهضة الفكرية الصحفية والأدبية- التاريخية)**، الجزائر، (ش. و. ن. ت)، 1983، ص ص .114- 114.

وصفوة القول أن شجاعة المدني في مواجهة الاستعمار بدت واضحة تماما من خلال مقالاته التي اعتمد فيها على الأسلوب النقدي، فقد كان قويا في حجته معتزا بعروبته وإسلامه، شعاره في كل ذلك هو الإسلام ديني العروبة لغتي والجزائر وطني.

ثانيا: إسهاماته في الكتابة التاريخية

1-مفهوم التاريخ عند أحمد توفيق المدني:

التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية وهو العلم الخاص بالجهود البشرية يشمل الماضي، الحاضر والمستقبل معا ولا يمكن الفصل بينهم[1].

التاريخ لغـــة:

يعني تحديد الزمن وهي كلمة مشتقة من "أرخ، يؤرخ" والتي تعني الشهر، في اللغات البابلية والآشورية، ويعتقد الباحثون الغربيون أن أول من أطلق تسمية التاريخ "**history**" هو المؤرخ اليوناني هيرودوت وتلفظ باللغة اليونانية "**historia**" والقصد منها التحري والبحث في أحداث الماضي وتسجيلها[2].

اصطلاحا: تدل كلمة التاريخ على تلك الحوادث والوقائع التي ألمت بالشعوب والأفراد، والتي وقعت منذ أقدم العصور واستمرت وتطورت في الزمان والمكان حتى الوقت الحاضر.[3]

ويقول ابن خلدون في مقدمته ويعتبر أول من أشار إلى التاريخ بقوله: "وفي باطنه نظرا وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها، علم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو أصيل في الحكمة عريق"[4].

فالتاريخ إذن هو معرفة ماضي البشرية منذ نشأتها الأولى وحتى الوقت الحاضر، فهو علم البشرية بالدرجة الأولى وهو بذلك يحيط إحاطة شاملة بحياة الإنسان، في كل أبعادها الزمنية بما فيها ذلك الحاضر والمستقبل[5].

---

(1) محمود محمد الحريري، **منهج البحث في التاريخ**، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001، ص.06.

(2) كامل حيدر، **منهج البحث التاريخي**، لبنان، دار الفكر، 1995، ص.91.

(3) حسن عثمان، **منهج البحث التاريخي**، القاهرة، دار المعرفة، (د. س. ن)، ص.12.

(4) ناصر الدين سعيدوني، **أساسيات منهجية التاريخ**، الجزائر، دار القصبة، (د. س. ن)، ص. 12.

(5) المرجع نفسه، ص.13.

تطرق المدني إلى مفهوم التاريخ وذلك من خلال مقولته: "التاريخ في نظري عرض وتحليل وتعليل وحكم فالمؤرخ الحق إنما هو حاكم نزيه، حر الضمير، يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من بين النصوص ويستمع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء، ثم ينظر للملابسات ويدرس المحيط، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه لا عاطفة ولا رياء ولا محاباة"[1].

وكان المدني يقصد من خلال ذلك أن المؤرخ النزيه هو الذي يتحكم في إصدار الأحكام دون تحريف، وأن يوظف المعلومات بكل ما أوتي من أمانة علمية وموضوعية، وأن يبتعد عن الأحكام الذاتية، وإذا توفرت هذه الشروط يكون التاريخ سليم وخال من أي زيادة أو نقصان.

2-إنتاجه الفكري:

لم يكتفي المدني بالعمل السياسي أو بالعمل الصحفي فقط بل اقتحم باب التأليف والنشر أيضا فقد ترك لنا تراثا فكريا هاما، تناول بالأخص جوانب كثيرة من تاريخ الجزائر والمغرب العربي، وفي هذا السياق يقول: "**إلا أنني عزمت على اقتحام باب التأليف بعد ذلك بصفة منظمة ومتوالية**"[2].

في مجال تأليف الكتب:

انقسمت مؤلفات المدني إلى قسمين منها ما نشر بتونس ومنها ما نشر بالجزائر ومن بين أعماله المنشورة بتونس ما يلي:

الكتب المنشورة بتونس:

- تونس وجمعية الأمم 1923: وهو أول كتاب نشر للمدني، يضف ضمن كتب الدعاية للقضية التونسية نادى فيه بوجوب انسحاب المحتل الفرنسي من تونس.
- الحرية ثمرة الجهاد 1923: تطرق فيه إلى نضال أيرلندا ضد الإنجليز طبع بتونس سنة 1923م.

---

[1] وسام ديدون، **الإرهاصات الأولى للمدرسة التاريخية الجزائرية أحمد توفيق المدني أنموذجا**، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، 2013-2014، ص. 49.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، المصدر السابق، ص.439.

- تقويم المنصور 1922-1923-1924: احتوى على ثلاث أجزاء وهو موسوعة للعلوم والجغرافية والتاريخ والسياسية والآداب[1].

-الكتب المنشورة في الجزائر:

- ✓ تقويم المنصور الجزء الرابع والخامس 1926-1929م
- ✓ تاريخ شمال إفريقيا أو قرطا جنة في أربعة عصور 1927م
- ✓ كتاب الجزائر 1932م.
- ✓ محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791م) وهو خلاصة لتاريخ الأتراك بالجزائر نشر سنة 1938.
- ✓ المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا 1946م قدم لنا من خلال هذا الكتاب دراسة تتناول فيها تاريخ جزيرة صقلية القديم كما تطرق إلى الفتح الإسلامي وأسبابه وختمه عما نشأ من علم في الجزيرة مع ذكره لأصم علمائه وكتابها.
- ✓ جغرافية القطر الجزائري 1948م تناول هذا الكتاب الجانب الجغرافي للجزائر وهو موجه لتلاميذ المدارس الابتدائية[2].
- ✓ حنبعل 1948م هي عبارة عن رواية مسرحية، عرضت بمسرح الجزائر وهي تروي ملحمة بطل قرطاجة ونهايته.
- ✓ هذه هي الجزائر 1957م الغرض من إصداره لهذا الكتاب هو التعريف بتاريخ وكفاح الشعب الجزائري لدى الشعوب العربية.
- ✓ حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792م) أصدره سنة 1968م.[3]
- ✓ مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1974م قام بتحقيق هذا الكتاب بعد الاستقلال فهو يغطي الفترة العثمانية بالجزائر ما بين 1754-1830م، عالج فيه

---

[1] محمد بسكر، **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة**، الجزائر، دار كردادة، (د. س. ن)،ج2،ص163.

[2] بلقاسم ميسوم، المرجع السابق، ص.173.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، الجزائر، عالم المعرفة، 2010، ص.16.

الكاتب مذكرات فترات الحكم 11 باشا، تدخل المدني كمحقق وذكر الأحداث التي أغفلها.[1]

- ✓ حياة كفاح وهي عبارة عن مذكرات تضمنت ثلاث أجزاء صدرت كل منها بتواريخ مختلفة يروي فيها مراحل حياته من 1905-1962م بحيث خصص الجزء الأول للمرحلة التونسية من خلال التطرق إلى تجاربه السياسية وكذا الثقافية بتونس أما الجزء الثاني فقد كان يغطي المرحلة الجزائرية من خلال عرضه لمختلف أعماله ونشاطاته بالحركة الوطنية، والجزء الثالث خصصه لمرحلة الثورة التحريرية والحكومة المؤقتة.
- ✓ رد أديب على حملة أكاذيب: هو كتاب أصدره في المرحلة الأخيرة من حياته فهو موثق في الرد على من كذبوا مذكراته وهاجموه خصوصا الكاتب محمد الطاهر فضلاء في كتابه "التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح"[2].

كتاب محاضرات في اللغة و الفكر: هو عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها أحمد توفيق المدني حول شخصيات فكرية لها وزن ثقيل في التاريخ أمثال الإمام عبد الحميد بن باديس البشير الإبراهيمي، مبارك الميلي، أبوا ليقظان ....،عبد الرحمن الثعالبي ،شكيب أرسلان و ابن خلدون حيث قام بجمع هذه المحاضرات كلها في كتاب بعنوان محاصرات في اللغة و الفكر و التاريخ [3].

---

[1] أحمد الشريف الزهار، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشراف الجزائر) (1754-1830)**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الجزائر، ط.2، (ش. و. ن. ت)، 1980، ص.19.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص ص.16-17.

[3] أحمد توفيق المدني، **محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص ص.23-42.

3-نماذج من آثاره التاريخية:

3-1-قرطاجنة في أربعة عصور، تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي:

صدر هذا الكتاب في 1927م، احتوى على 176 صفحة، عالج فيه الوجود الفينيقي بالمغرب العربي والصراع البربري مع روما، ومن بين الدوافع التي أدت بالمدني لتأليف الكتاب ما يلي:

- أن المدني كان يرى أن مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي مليئة بالعظمة والجلال وذلك من خلال أن التاريخ المغاربي لا يبدأ من العصور الإسلامية فقط، كما كان الهدف الأساسي للمؤلف من وراء تأليفه لهذا الكتاب هو من أجل دحض المدرسة التاريخية الغربية التي تركز على المرحلة الرومانية وإنكارها وتهميشها لمرحلة ما بعد الفتح الإسلامي للسكان الأصليين للمنطقة حيث أن هذه المدرسة كانت ترمي إلى إبراز مدى التعلق الإيجابي الذي كان بين البربر والرومان[1].

هيكل الكتاب:

يتألف من مقدمة وأربع أقسام أخرى، استهل المقدمة بوصف بلاد المغرب من حيث العنصر البربري وأنواعه وأصله وخصص القسم الأول لدولة قرطاجنة، تطرق فيه إلى النظام السياسي لقرطاجنة، وكذا علاقتها مع البربر كما تناول الحياة العلمية والأدبية آن ذاك، ووصف لنا الصراع الذي كان قائما بين البربر وروما وما أنجر عنه من حروب مثل الحروب البونيقية إلى غاية تدمير قرطاجة والاحتلال الروماني، القسم الثاني عرج فيه إلى ذكر طبيعة النظام الإداري والسياسي والاقتصادي التي طبقه الاحتلال الروماني على البلاد، ثم ختمه بنتائج هذا الاحتلال الروماني[2]،والقسم الثالث خصصه لقرطاجنة تحت الاحتلال الوندالي، ذكر كيف تم الاستيلاء على قرطا جنة من طرف الوندال وكذا سياسة هذه الأخيرة التخريبية في البلاد، وبالإضافة إلى

---

[1] أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور، تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص.24.

[2] أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور، تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق، ص ص.89-126.

الحروب والصراعات التي كانت قائمة في تلك الفترة وختمه بتقييم للاحتلال الوندالي، من خلال ذكره الانعكاسات السلبية للسياسة الوندالية على الشعب البربري، القسم الرابع الاحتلال البيزنطي لقرطاجنة تناول فيه النظم الإدارية والسياسية والعسكرية وكل ما يتعلق بالسياسة الداخلية للبيزنطيين لقرطاجنة، كما عرج إلى الفتح الإسلامي لقرطاجنة وهزيمة الكاهنة أمام حسان بن نعمان، وفي الختام عرض أسباب اندماج وتقبل البربر للإسلام، والتي تعود حسب المدني أن سواء العرب أو البربر فهم من أصل سام واحد ولهما عقلية واحدة[1].

فيما يخص المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المدني في هذا الكتاب كانت حوالي ست وعشرين مرجعا فرنسيا واكتفى فقط بمصدرين عربيين كتاب العبر لابن خلدون ورحلة التيجاني[2].

نلاحظ من خلال تصفحنا للكتاب ذلك التشابه الذي يربط بين القرطاجيين الذي كانوا يشبهون العرب الفاتحين بحيث قاموا بإخراج البربر من الظلم إلى النور مثل ما فعل المسلمين، أما التشابه الثاني فيكمن بين الرومان والفرنسيون فالرومان يشبهون الفرنسيين كثيرا من خلال التشابه في السياسات التي طبقها كل منهما خاصة من ناحية الملكية الزراعية حيث أن البربري جرد من أرضه وأصبح تحت سلطة روما ولا يملك شبرا من الأرض[3].

كما ركز كثيرا على المقاومات التي قام بها البربر ضد الرومان، والتي تشبه إلى حد كبير مقاومات الجزائر بين الاستعمار الفرنسي ومنه فالاحتلال كان مرفوضا منذ الأول وقوبل بالمعارضة والتصدي، ضف إلى ذلك أن الكتاب كان مليء بصور الافتخار بالبربر وحبهم للحرية ورفضهم للاستعمار الغاشم الذي حاول السيطرة على أرضهم منذ الاحتلال الروماني إلى غاية الاحتلال البيزنطي[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص ص131-149.

[2] نفسه، ص 174

[3] رابح لونيسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة (بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954)**، الجزائر، ط1، دار كوكب العلوم، 2009، ص.366.

[4] أحمد توفيق المدني، **قرطاجنة في أربعة عصور، تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، المصدر السابق، ص.108.

كان هناك العديد من الآراء حول صدور هذا الكتاب ومن بين الآراء في هذا الكتاب نذكر ما يلي: كتب محمد بن أيدير آيت عمران مثلا: "**كتاب قرطاجنة في أربعة عصور قلب وجودي وجدد نهائيا توجهاتي ومشاعري وايدولوجيتي الوطنية... ولقد كان بالنسبة لي حقيقة جديدة...حيث اكتشفت أن تاريخ بلادي لا يعود للقرن السابع ميلادي فقط لكنه أبعد وأعمق من ذلك**"[1].

وبهذا يكون المدني قد وضع لنا مختصر شاملا لتاريخ البلاد على مدى أربع عصور، ونظرا للجهد الذي بذله لإخراج كتابه هذا الذي بين أيدينا، بالإضافة إلى طول الفترة الزمنية المدروسة فلا بد أن يكون فيه نقائص وثغرات من خلال أنه من غير الممكن أن يستطيع تغطية والإلمام بكل جوانب الموضوع، ومن خلال اطلاعنا على الكتاب وجدنا أنه ركز بشكل كبير على الأحداث السياسية والعسكرية، كما ركز بشكل كبير على الجانب الحضاري ، إلا أن هاته الملاحظات لا تنقص أبدا من الأهمية العلمية والتاريخية للكتاب حيث أنه يبقى بمثابة مصدر من مصادر التاريخ تستفيد منه الأجيال القادمة بشكل كبير.

3-2-كتاب الجزائر:

أصدر المدني كتاب الجزائر في سنة 1930م، بعد أن قضى أربع سنوات في الجمع والترتيب، احتوى الكتاب على 382 صفحة[2].

من بين الأسباب التي أدت إلى تأليفه لهذا الكتاب هي الاحتفالات المئوية التي أقامتها فرنسا احتفالا بمرور مائة عام لاحتلالها الجزائر والتي أثارت ضجة كبيرة في نفوس الجزائريين بحيث جاء الكتاب بمثابة رد على هاته الاحتفالات منفذا بذلك جزءا من الوعد الذي قطعه على نفسه إثر المناسبة المئوية فكان رده بتأليف كتاب الجزائر[3].

---

(1) Mohamed Ait Amrane, **mémoire au lycée de Ben Aknone**, Algérie, (sans date), pp. 26- 27.

(2) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص.18.

(3) بلقاسم ميسوم، "**كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة تحليلية**"، مجلة المصادر، ع16، السداسي الثاني، الجزائر، 2007، ص.209.

كما أن الهدف الرئيسي للمدني من إصدار هذا الكتاب هو من أجل كشف الزيف الاستعماري حول تاريخ الجزائر ويصفه بقوله "**لهذا أجمعت لكم بين دفتي هذا الكتاب ما يجب على كل جزائري مسلم أن يعرفه على بلاده**"[1].

ولهذا السبب فنجد أن المدني لم يقتصر في كتابه هذا على الجانب التاريخي فقط بل تعداه ليشمل بذلك كل ما يتعلق بتاريخ الجزائر حاضرا وماضيا، ولقد عبر عنه أبو القاسم سعد الله بقوله "**كتاب جيب تاريخ الجزائر**"[2].

كما رأى المدني أنه آن الأوان ليعرف الشعب الجزائري على حالته الشخصية الحقيقية خاصة أن أبناء العربية يجهلون كل شيء عن هذا الوطن تاريخه، طبيعته، نظمه، قوانينه، حالته الأدبية وقوته الاقتصادية، كما وضع المدني ديباجة كتابه رفعها شعارا للشباب الجزائري كرسالة "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا" بالإضافة إلى معالجته لمشكلة الفراغ الذهني التاريخي الذي أصاب الشباب الجزائري[3].

محتوى الكتاب:

يتوزع الكتاب على أربعة عشر قسما مقسمة بين التاريخ والجغرافيا، والحالة الراهنة1930مالتي مرت بها إلى غاية الفترة العثمانية بالجزائر، والقسم الثاني كان عن تاريخ الجزائر منذ دخول الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1930م، والقسم الثالث بمثابة وصف للحالة العلمية والأدبية بالجزائر من أقدم العصور إلى غاية بداية القرن العشرين[4]، القسم الرابع خصصه للبربر سكان الجزائر أصولهم، عوائدهم، نظمهم، قبائلهم، القسم الخامس مخصص للعنصر العربي بالقطر الجزائري[5]، القسم السادس تطرق فيه إلى عناصر أخرى مثل اليهود، الفرنسيون، الأجانب، القسم السابع والثامن قدم فيهما بطاقة تعريف للجغرافيا العامة بالجزائر من حيث الموقع،

---

(1) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص.19.

(2) بلقاسم ميسوم، "**كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة تحليلية**"، المرجع السابق، ص. 210.

(3) بلقاسم ميسوم، **الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية**، المرجع السابق، ص.180.

(4) أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المصدر السابق، ص .51.

(5) بكاكرية جودي، **المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف)**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 193.

المساحة، الحدود المناخ، كما تعرض أيضا للتقسيم الإداري بالجزائر في الفترة الاستعمارية وأعطى إحصاء للسكان وترجم حوالي لاثنين وتسعين مدينة بالقطر الجزائري[1].

ثم تأتي مرحلة الحالة الراهنة بالجزائر 1930م حيث عرج في القسم التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر تطرق في هذه الأقسام إلى النظام الإداري والسياسي والمالي والاقتصادي والقضائي بالجزائر، كما بين لنا خلو كل تلك الأنظمة من العنصر الجزائري، القسم الثالث عشر وصف حالة المسلمين العامة ووضعيتهم القانونية والاجتماعية الصعبة القسم الرابع عشر وكان آخر قسم في الكتاب وصف فيه الحالة الاقتصادية العامة التي كانت تعيش فيها الجزائر في تلك الفترة[2].

ونظرا لأن المدني لم يولي أهمية كبيرة للأحداث التاريخية وحتى إن ذكرها جاءت في شكل مختصر، وعليه فقد كان رأي سعد الدين بن شنب في كتاب تاريخ الجزائر بوصفه أنه كتاب غير تاريخي، كما قدر القيمة التاريخية له بربع الكتاب.

اعتمد المدني في كتابه هذا على المصادر الفرنسية نظرا لمعرفته الواسعة للغة الفرنسية بالإضافة إلى اعتماده على الوثائق المهمة جدا مثل القوانين، إحصاءات، مستوحاة كلها من دفاتر الإحصاء الرسمية لسنة 1931[3].

ومن بين الآراء والأصداء التي خلفها الكتاب ما يلي:

* كان تقريظ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق له بما يلي: "**من أمتع الكتب التي نشرت في الجزائر على عهدها الأخير... رسم لنا صورة الجزائر طبق الأصل، بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذلك القطر وتقويم أرضه، وعادات أهله وأخلاقهم، وأصول إدارته وقبائله ومراكزهم وعناصره وسكانه...**"[4].

---

[1] بلقاسم ميسوم، "**كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة تحليلية**"، المرجع السابق، ص. 210.

[2] مسعود كواتي، **شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص**، الجزائر، ط.1، دار طليطلة، 2011، ص.228.

[3] بلقاسم ميسوم، "**كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة تحليلية**"، المرجع السابق، ص.211.

[4] محمد قنانش، **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة)**، الجزائر، (ش. و. ن. ت)، (د.س)، ص 114.

* وقال عنه شارل روبين أجيرون "**منذ سنة 1931 تأسست جمعية العلماء المصلحين جمعت ثلاثة عشر عالما من بينهم مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني، وهما أول من ألف في التاريخ الجزائري باللغة العربية... فكتاب التاريخ الوطني الذي ألفه الشيخ المدني، وهو كتاب الجزائر 1931م... كان كتاب يحمل فوق غلافه شعار جمعية العلماء: الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا...**"[1].

* مولود قاسم نايت بلقاسم "**لو لم يكن للأستاذ أحمد توفيق المدني إلا هذا الكتاب لكان يكفيه...**"[2].

وعليه يمكننا القول بأن لكتاب الجزائر أهمية كبيرة جدا للدارسين للاطلاع على الأوضاع العامة التي كانت سائدة في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي وبما أن المدني من دعاة التجديد والإصلاح فلقد تناول في هذا الكتاب الكثير من المواضيع المتعلقة بهذا المجال كالتعليم، والمرأة والشباب، ضف إلى ذلك حرصه الكبير على إنشاء المدارس لهذا فالكتاب يعتبر من أولى الكتب الجزائرية وأهمها علميا لأنه جاء ملما بجميع جوانب القطر الجزائري برمته جغرافيا، تاريخيا اجتماعيا، اقتصاديا، حضاريا.

3-3-كتاب داي الجزائر محمد عثمان باشا:

صدر الكتاب في 1938م تناول فيه المدني حياة محمد عثمان باشا أحد دايات الجزائر فقد عالج هذا الكتاب مرحلة من أهم مراحل التاريخ الجزائري ألا وهو التواجد العثماني بالجزائر[3].

وكان الهدف من وراء تأليفه لهذا الكتاب هو: دحض وتفنيد وتكذيب تلك التهم والأكاذيب التي ألصقت بهذه الفترة من تاريخ الجزائر، والتي لطالما وصفها الغربيون بأنها صورة من العصور الوسطى في أوروبا[4].

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص.301.

[2] بلقاسم ميسوم، **الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية**، المرجع السابق، ص.192.

[3] أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791) (سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)**، الجزائر، عالم المعرفة للنشر، 2010، ص.17.

[4] محمد قنانش، المرجع السابق، ص.115.

ومن بين التهم أيضا الموجهة للعهد العثماني، أنه عصر ظلام وجهل، ومتخلف في العمران فكان فيه سفك دماء الأهالي والتشكيل الأسري المسيحي، بالإضافة إلى أنه لم يكن فيه علم ولا أدب[1].

وبذلك فالعهد العثماني بالجزائر تعرض لكثير من الجور وتلطيخ السمعة، فوصف نظامه بالاستبدادي التعسفي ضد الأهالي، ومن خلال ما سبق أراد المدني أن يرجع الحقيقة التاريخية إلى نصابها من خلال تأليفه لكتاب محمد عثمان باشا والتي تعتبر فترة حكمه من أطول فترات الحكم العثماني بالجزائر، كما أهدى الكتاب إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس عرفانا لعمله في سبيل العلم والمعرفة، وفي سبيل الوطن[2].

أقسـام الكتـاب:

احتوى الكتاب على مقدمة وأربعة أقسام بداية بالمقدمة التي فند فيها التهم التي وجهتها المدرسة الفرنسية للعهد العثماني بالجزائر، كما عقد مقارنة بين وضع البلاد ووضع أوروبا خلال عهد العثمانيين في عدة مجالات ووصف مظاهر القمع الفرنسي وأعطى أمثلة على ذلك[3].

ثم يدخل إلى القسم الأول بعنوان "خلاصة عن الولاة في العصر التركي من عام 1515-1830م" عرج فيه إلى أسباب زوال الدولة الإسلامية بالشمال الإفريقي بالإضافة إلى تطرقه للدخول العثماني للجزائر وفترات حكمهم التي دامت قرابة ثلاث قرون[4].

كما خصص القسم الثاني للحديث عن سيرة محمد عثمان باشا، عرج فيه إلى كيفية توليه الحكم، وسيرته الذاتية نشاطاته المختلفة خلال فترة حكمه حيث شبهه بالخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث كان واليا صالحا مسلما كما كان محمد عثمان باشا داهية في السياسة وهي سيرة منقولة عن مخطوط أثري وهو مذكرات نقيب السادة الأشرف بالجزائر أحمد الشريف الزهار[5].

---

(1) أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص.9.

(2) بلقاسم ميسوم، **الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية**، المرجع السابق، ص.193.

(3) المرجع نفسه، ص .194.

(4) أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص.37-38.

(5) أحمد توفيق المدني، "**كتاب محمد عثمان باشا**"، مجلة الشهاب، م13، ج1، المطبعة العربية الإسلامية، (قسنطينة-الجزائر)، 1937، ص .90.

القسم الثالث خصصه لمقتطفات من دفتر التشريفات الرسمي وهو عبارة عن سجل حكومي كانت الإدارة العثمانية ترسم فيه أعمالها ونشاطاتها بالجزائر.

والقسم الرابع والأخير عرض فيه مقتطفات من مذكرات المستشرق الفرنسي "فونتي دي بارادي" وهذه المذكرات فيها العديد من الأحداث والوقائع المتعلقة بعصر عثمان باشا، كما قدم لنا حوالي عشرون صورة متنوعة للتوضيح أكثر[1].

فيما يخص المصادر التي اعتمد عليها المدني في مؤلفه هذا فتتمثل في الشهادات الرسمية من شخصيات فرنسية، واستعان كذلك بالمصادر الفرنسية مثال ذلك ما كتبه فونت يدي بارادي، بالإضافة إلى اعتماده على كتاب الحفناوي تعريف الخلف برجال السلف، ومجموعة أخرى من المصادر العربية، كما اعتمد أيضا على أهم مصدر من مصادر التاريخ العثماني وهو دفتر التشريفات الرسمي الحكومي الذي يخص الإدارة العثمانية بالجزائر[2].

أما فيما يخص الأصداء عن ظهور الكتاب فقد أبدى عبد الحميد بن باديس رأيه فيه قائلا: "**هذا اسم السفر الجليل الذي لألفه الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني،... لخص فيه تاريخ الجزائر التركي بأسلوب بديع، جمع الفصاحة والتناسق وعرض للتاريخ بين دلائل العلم، وبروح إسلامية تعرف الصدق... فالأخ الأستاذ المدني بكتابه هذا، لم يكن كاتبا بليغا ومؤلفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا، وأحيوا أمما**"[3].

كما دعا ابن باديس الشباب المسلم وحثهم على ضرورة مطالعته قائلا:"**أنه يتحتم على كل جزائري مسلم أن يقرأ هذا الكتاب وأنك إذا ختمته أيها المسلم لا بد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب، وتبغض من يجب أن تبغض**"[4].

وعليه فقد حقق الكتاب الهدف المبتغى منه وهو الأمر الذي جعل الإمام عبد الحميد بن باديس يعلق على الكتاب كما ذكرنا في السابق وبذلك فقد نجح الكتاب في توصيل الرسالة إلى

---

[1] أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، المصدر السابق، ص ص .40-48.

[2] المرجع نفسه، ص.82.

[3] عبد الحميد بن باديس، "**محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)**"، مجلة الشهاب، م13، ج7، المطبعة العربية الإسلامية، (قسنطينة-الجزائر)، سبتمبر 1937، ص.319.

[4] عبد الحميد بن باديس، "**محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)**"، المرجع السابق، ص.320.

الشباب الجزائري لكي يجعله أكثر كرها للاستعمار الفرنسي ومنه يغرس فيه الرغبة والاستعداد للثورة ضد الاستعمار الفرنسي والعمل على تغيير أوضاع البلاد ويبقى الكتاب مصدرا مهما حيث أنه أرخ لأطول فترة من فترات الحكم العثماني بالجزائر ونزاهة الداي محمد عثمان باشا.

3-4-المسلمون بجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:

ألف كتاب المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا سنة 1947م واستنادا إلى ما جاء في مقدمة الكتاب فيمكننا القول أن من بين الأسباب التي جعلت المدني لتأليفه ما يلي: أولا: الرغبة الشخصية للكاتب في اختراق مجاهل هذا التاريخ الإسلامي في صقلية، ثانيا: أنه لم تكن هناك دراسة علمية تخص بتاريخ صقلية في العهد الإسلامي فمعظم المؤلفات التي تناولت تاريخها الإسلامية على الجزيرة وما نتج عنها من تطور وازدهار، ثالثا: تمثل السبب الثالث في محاولته لا إماطة اللّثام عن الأكاذيب التي وصفت بها مسلمي صقلية مثل الفوضى الاضطرابات، الفتن الحروب وغيرها ولهذا فقد جاء هذا الكتاب لتصحيح تلك المزاعم ولتوضيح الحقائق التاريخية لهذه الجزيرة خلال الحقبة الإسلامية[1].

أما بخصوص الهدف المنشود من هذا الكتاب فيكمن في إبعاد الشكوك الفرنسية الاستعمارية اتجاهه خاصة بعد التهديدات التي تلقاها منها بعد الحرب العالمية الثانية وبالضبط بعد مجازر 8 ماي 1945م[2].

مضمون الكتاب

احتوى الكتاب على 272 صفحة مقسمة بداية بمقدمة حول أسباب اختيار الموضوع والهدف منه، بعدما قسم الكتاب إلى تسعة أقسام القسم الأول يشمل وصف جغرافي عام حول جزيرة صقلية من حيث المناخ والثروة الطبيعية وغيرها، والقسم الثاني خصصه لتاريخ جزيرة صقلية من الفتح الإسلامي وأسبابه وظروفه، وأسباب تطورها كما عرض أحداث استيلاء النرمان عليها وعرج لمختلف المراحل التي مرت بها إلى غاية إخراج المسلمين منها، في حين ضم القسم الثالث، أهم

---

[1] أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص.20.

[2] رابح لونيسي، المرجع السابق، ص.370.

المدن والقرى بالجزيرة وكذا معالمها وآثارها، حيث أعطى وصف لحوالي 12 مدينة مدعمة بصورة توضيحية[1].

ومن القسم الرابع إلى القسم السابع فقد تناول فيه الحكم الإسلامي بالجزيرة، مثل الدولة الأغلبية والحكم الفاطمي والفتوحات الإسلامية إلى غاية جنوب إيطاليا، للتمدن والعمران من خلال حديثه عن النظام الإداري آن ذاك وذكره للانعكاسات الإيجابية التي تركها المسلمون بالجزيرة وازدهار اللغة العربية بها، والقسم التاسع تضمن العلوم والآداب وهو عبارة عن بيان عما نشأ في تلك الجزيرة من علم فذ على يد علماء كبار، مثل المازوري وابن حماديس بالإضافة إلى ذلك قام بترجمة لثلاثين عالما من علماء الجزيرة مع ذكر مؤلفات كل واحد منهم[2].

اعتمد المدني في هذا الكتاب على العديد من المصادر التي تنوعت ما بين العربية والأجنبية، حيث استعمل حوالي 28 مصدر عربي (مثل رحلة ابن خبير، ديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، مروج الذهب للمسعودي).

أما المصادر الأجنبية فقد تمثلت في 18 مصدر والتي قام بجمعها الأستاذ ميكال عماري في كتابه:**(bibliotica arabo siculia)** **(المكتبة العربية الصقلية)**[3].

ولقد حظي هذا الكتاب بالإعجاب حيث أرسلت مئات الرسائل للمدني من ابن باديس والميلي ومن علماء الرباط ومراكش وتونس وكانت هذه الرسائل حافلة بالإعجاب والثناء على القيمة العلمية التاريخية للكتاب[4] فوصفه قنانش محمد بما يلي: "**فالكتاب الذي بين أيدينا يعتبر تحفة نادرة ودرة قيمة، فهو معلمة تاريخية عن جزيرة صقلية، والتي لعبت دورا كبيرا في بناء صرح المدنيات التي قامت على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.**"[5].

3-5-حنبعـل:

---

(1) أحمد توفيق المدني، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، المصدر السابق، ص.45.

(2) المصدر نفسه، ص.265.

(3) نفسه، ص.266.

(4) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص.165.

(5) محمد قنانش، المرجع السابق، ص.110.

صدر كتاب حنبعل سنة 1950م وهو عبارة عن مسرحية تاريخية احتوت هذه المسرحية على أربعة فصول، أهداها المدني للشباب المغربي بهدف الاطلاع على جهاد الأجداد الأولين[1].

وكان الهدف من مسرحية هو أن تكون بمثابة رواية تمثيلية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني، وتلقي عليه أثناء حوار هام يجب أن يقال من أجل التغلب على المحن والصعاب، والصبر والثبات، وذلك لتحريك روح المقاومة الوطنية فيه[2].

كما قام محي الدين باش تارزي بتمثيلها في مسرح الأوبرا، وكان لهذه المسرحية صدى كبير ليس على الصعيد الجزائري فقط بل على كل بلدان المغرب العربي، وذلك بسبب أنها تعرض لفترة تاريخية امتازت بالصراع بين القرطاجيين وبين روما قبل مجيء الإسلام، بالإضافة إلى اختياره لشخصية حنبعل والذي كان بطلا تاريخيا وطنيا معروف حارب روما ووقف في وجه مطامعها وحاربها بكل شجاعة واستبسال وانتصر عليها في العديد من المعارك وقد اختاره المدني من أجل حث الجزائريين على النضال من أجل استرجاع الحرية الوطنية وظهر ذلك جليا من خلال الإهداء الذي قدمه إلى الشباب المغربي "**إلى الشباب المغربي حامل راية الكفاح، في سبيل حرية الأمة وشرف الوطن، أقدم هذه الرواية التي تحيي له صفحة من جهاد أبطاله الأولين، وفيها عبرة وذكرى**"[3].

يلاحظ على محتوى المسرحية، أنه طغى عليها الجانب السياسي والتاريخي أكثر من الجانب الفني، فالكاتب في هذه المسرحية مشغول بالبطل حنبعل، وشجاعته في خوض الحروب، وفي الدفاع عن الوطن بالإضافة إلى أن المؤلف في هذه المسرحية قام بعملية إسقاط حيث كان يسقط التاريخ القديم على الواقع المعاش في الجزائر والذي كان شبيه إلى حد كبير من خلال أن الجزائر كانت تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي مثلما كانت قرطاجنة هي الأخرى تحت نير الاحتلال الروماني وعليه يمكننا القول بأن المسرحية تبقى رائدة في مجالها وموضوعها، من العبر والدروس التي ترمي كلها إلى الصبر والصمود وتشجع على محاربة الاحتلال وتحقيق حرية الأوطان[4].

---

(1) أحمد توفيق المدني، **حنبعل (رواية تاريخية)**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ص.17.

(2) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص.395.

(3) عبد الله الركيبي، **تطور النثر العربي (1930- 1974)**، تونس ، الدار العربية للكتاب ، 1983، ص.101.

(4) مسعود كواتي، المرجع السابق، ص ص. 236-237.

4-إسهاماته في تاريخ مبارك الميلي:

يعد الشيخ مبارك الميلي من بين العلماء البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك نظرا لعلمه الغزير في المجال التاريخي والفقهي أيضا، فاستحق أن يلقب بالعلامة فقد كان يجمع بين علوم الدين والدنيا كما كانت لديه إسهامات عديدة في مجال الكتابة التاريخية بالجزائر ونستشف ذلك من خلال التراث الفكري الكبير الذي خلفه رحمه الله[1].

نظرا للعلاقات الطيبة والأخوية التي كانت تربط بين أحمد توفيق المدني ومبارك الميلي منذ أن تعارفا في 1925م بقسنطينة فقد كانت تربطهم علاقات مبنية على التبادل الثقافي والعلمي وعليه كان للمدني مساهمة في عمل الميلي في مجال الكتابة التاريخية، حيث كان مشتركا معه في تحرير كتابه الشهير "تاريخ الجزائر القديم والحديث"، فكان المدني يقوم بجمع المصادر الفرنسية ويقدم له ما يهمه منها مترجما إلى اللغة العربية[2] ويقول المدني بهذا الصدد "وإذا تم تعريب أهم الأبواب، وأغلب الفصول من مختلف الكتب التاريخية الفرنسية قدم الميلي رحمه الله إلى العاصمة خصيصا من أجل ذلك وقضينا حوالي العشرين يوما في عمل مستمر ونحن نقابل بين نص، ونحكم مختلف الكتب، فيما يتراء لنا من تناقض أو اختلاف بين مؤرخي الشرق ومؤرخي الغرب، وننهمك في عمليات حسابية طويلة كي ندقق تاريخيا، أو نوفق في شأن الحادثة الواحدة بين ما يرويه هذا أو يقصه ذلك"[3].

استنادا على هذا النص فهو يوضح لنا بصريح العبارة على أن المدني ظاهر الميلي في عمله، وترجم له العديد من النصوص من مختلف الكتب الفرنسية وذلك بحكم أن المدني كان معروفا بثقافته الغربية، وبإتقانه للغة الفرنسية خاصة كما قام بالتنسيق معه في الكثير من فصول الكتاب، ضف إلى ذلك أنه ساعده في تحقيق تواريخ بعض الوقائع التاريخية.

ثالثا: نشاطه الثقافي في الحكومة المؤقتة

---

(1) سليم مزهود، **مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2005- 2006، ص.102.

(2) عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص.210.

(3) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص.230.

يعتبر الإعلان عن قيام الحكومة الجزائرية المؤقتة بمثابة نقلة نوعية لكفاح الشعب الجزائري على كافة الأصعدة، وقد أقدمت لجنة التنسيق والتنفيذ على هذه الخطوة الحاسمة، بتفويض من المجلس الوطني للثورة الجزائرية خلال الدورة التي انعقدت في القاهرة في أواخر اغسطس 1957م وذلك بعد دراسته للمسألة من مختلف الجوانب وبعد مشاورات ومذكرات أجمعت لجنة التنسيق والتنفيذ بالقاهرة في 9 سبتمبر 1958م بتشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية[1]حيث عين فرحات عباس على رأسها ونائبه كريم بلقاسم[2].

وخلال قيام هذه الحكومة منحت للعلماء الحقيبة الوزارية تمثلت في وزارة الشؤون الثقافية والتي منحت للمدني وبحكم أنه كان معروفا من قبل بمساعدته للطلبة الجزائريين في القاهرة حيث كان الطلبة كل ما صادفتهم مشكلة يلجؤون للمدني باعتباره رئيس لمكتب جبهة التحرير الوطني وكان يستغل علاقاته بالشخصيات السياسية والثقافية لمحاولة إيجاد حلول لمشاكل الطلبة[3].

أعمالــه كوزير للثقافـة:

اهتم المدني بعد توليته لهذا المنصب أكثر بالطلبة، حيث قام في 20 سبتمبر 1958م بالسماح للطلبة في مزاولة دراستهم في جامعة الجزائر وهذا ما بعد إضراب 19 مارس 1956م وتم الإعلان عن ذلك من طرف الحكومة، كما استطاع أن يدخل طلبة جزائريين جدد حيث أصبح عدد الطلبة الجزائريين 115 طالب الذين يزاولون الدراسة في مختلف المؤسسات التعليمية بمصر، ومن الجانب المادي سعى المدني لدى الحكومة المصرية برفع قيمة المنح الدراسية للطلبة فبعد أن كانت7 جنيهات للجامعي أصبحت 15 جنيه تدفع منها خزينة الوفد 10 جنيهات ويدفع المدني من حساب الجبهة5 جنيهات، و12,5 جنيه للثانوي وذلك من خلال اتفاقه مع وزير المعارف كمال الدين حسين والمشرف العام على الطلبة الشريف أبو العينين[4].

---

[1] ينظر الملحق رقم: 04.

[2] Mohamed Harbi, **les archives de la révolution algérienne**, paris, Edition jeune Afrique, 1980 p. 210.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح (مع ركب الثورة التحريرية)**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ج3، ص ص.587-588.

[4] الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص.287.

عمل أيضا على إعفاء الطلبة من رسوم الدراسة كلها، ومنحهم مبلغا سنويا لشراء الكتب كما طالب وزارة الثقافة باسم المدني أن يسمح لحاملي شهادة التحصيل التونسية الجديدة، الدخول إلى الكليات العلمية في حين كان لا يسمح بذلك إلا لكلية الأدب والحقوق.

ومن الناحية الصحية فقد اتفقت الوزارة مع مستشفى صداري لقبول كشف الطلبة مجانا وإعطاؤهم الأدوية التي يحتاجونها، بالإضافة إلى أنها خصصت لهم سريرين في حالة وجود حاجة لإجراء عملية جراحية[1]وبالرغم من هذا إلا أن الطلبة الجزائريين لم يجدو العناية الكافية هذا ما أدى بالوزارة الجزائرية بدفع نصف ثمن الأدوية كما خصصت لهم طبيب للمعالجة، وتكوين صيدلية من الهلال الأحمر الجزائري لتوفير الأدوية، ومنح اعتماد شهري للطلبة يخص الفحوصات وشراء الأدوية، هذا فيما يخص الطلبة المتواجدين بالقاهرة[2].

أما بخصوص الطلبة المتواجدين في سوريا فقد بادر المدني بالاتفاق مع الحكومة السورية لرفع عدد الطلبة من 66 طالب إلى 107وبالفعل فقد تم إرسال 41 طالبا من تونس كما خصص للطالب الجزائري مبلغ 140 ليرة سورية سنويا في حين يتقاضى البعض 75 ليرة فقط والفرق تدفعه الحكومة الجزائرية، وبهذا الصدد جرت مفاوضات بين المدني ووزير التربية والتعليم السوري حول النقاط التالية:

1- أن تدفع الحكومة كل منح الطالب الجزائري بالنسبة المذكورة بحيث لا تدفع الحكومة الجزائرية إلا فرقا ضئيلا.

2- يعفى الطلبة الجزائريين من الرسوم الدراسية إلا الراسبين في الامتحانات.

3- يعطى للجامعيين والثانويين الكتب اللازمة مجانا إلا الراسبين كما سعى المدني إلى حل مسألة التطبيب واللباس من خلال إعطاء الطلبة 120 ألفا شهريا و5 ألاف فرنك لكل واحدا على التوالي في الوقت الذي كانت الحكومة السورية تمانع ذلك[3].

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص.589.

[2] المصدر نفسه، ص.705.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص.709.

رغم ما قدمه المدني من أعمال للحكومة المؤقتة إلا أن موقفه منها كان بارزا حيث أنه ومنذ الوهلة الأولى من تأسيسها يقول عنها "وضعت فيها رقم أنفي" بالإضافة إلى أنه انتقد عمل وزارات الحكومة المؤقتة وذلك لعملها المنفرد دون انسجام والخصومات التي كانت موجودة بين القادة بالرغم من هذا إلا أن المدني عمل بجد من أجل تدعيم ميزانية الجزائر كما قام بالعديد من المجهودات كما ذكرنا سالفا من أجل الطلبة الجزائريين حيث تمكن من حل جميع مشاكل الطلبة وفي 21 ديسمبر 1959م حضر مؤتمر المجلس القومي للثورة الجزائرية المنعقد في طرابلس حيث قدم فيه المدني تقريرا شاملا عن وزارة الشؤون الثقافية باعتباره مسؤولا عنها لمدة 14 شهر، وتمت مناقشته وبعد ذلك غادر الحكومة وبهذا الشأن يقول: "**وأخيرا اقتربت ساعة الخلاص، اقتربت الساعة التي سأغادر فيها الحكومة، وقد أصبحت وهي في تونس هزيلة... لا تكاد تشتغل إلا بمساومات بين القادة...**"[1].

[1] المصدر نفسه، ص ص.684-685.

استنتـــاج:

وكاستنتاج لهذا الفصل يمكنني الخروج بالعديد من النقاط كان من أهمها ما يلي:

1- كانت الصحافة ضمن الاهتمامات الأولى للمدني وذلك نظرا لمعرفته لما كان للكلمة من أثر بالغ في استثارة الجماهير حيث ترك بصمات واضحة في الشهاب والبصائر.

2- لم يكتفي المدني بالعمل الصحفي فقط بل أنه اقتحم باب التأليف من أوسع أبوابه، حيث ترك تراثا فكريا ضخما عن تاريخ الجزائر والمغرب، تنوع ما بين التاريخي والسياسي والحضاري.

3- نظرا لما اشتهر به المدني من ثقافة واسعة وعلم غزير منحت له الحقيبة الوزارية بأول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية.

الفصل الثاني:
نضاله السياسي في الجزائر (1925-1962)

أولا: دوره في الحركة الوطنية

ثانيا: دوره في الثورة التحريرية

ثالثا: دوره السياسي في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

تمهيد:

جاء الفصل الثاني بعنوان نضاله السياسي في الجزائر (1925- 1962م) سأتطرق فيه أولا إلى دوره بالحركة الوطنية الجزائرية من خلال عرضي لمشاركته في تأسيس نادي الترقي في 1927م بالإضافة إلى دوره الفعال في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ضف إلى ذلك مشاركته في تأسيس جهة الدفاع عن الحرية واحترامها، أما ثانيا دوره في الثورة التحريرية الجزائرية الكبرى سأعرج فيه إلى مهامه أبان الثورة التحريرية المظفرة بدأ بعضويته في الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني بالقاهرة حيث باشر عمله الدعائي و السياسي هناك لصالح الثورة، بالإضافة إلى عضويته في المجلس الوطني للثورة ، وثالثا سأتطرق فيه إلى إسهاماته السياسية بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من خلال عرضي لنشاطه الدبلوماسي في إطار دعم القضية الوطنية وكذا تمثيله الدائم للجزائر في جامعة الدول العربية.

أولا: دوره في الحركة الوطنية

منذ أن وطأت أقدام أحمد توفيق المدني أرض الجزائر، بعد أن تم إبعاده من تونس في 1925م عرف بنشاطاته وأعماله السياسية في الكثير من الأحداث الوطنية التي كانت تشهدها الجزائر آنذاك، حيث كانت له بصمات واضحة ومواقف بارزة في العديد من القضايا السياسية من 1925م إلى غاية استقلال الجزائر 1962م.

1- مشاركته في تأسيس نادي الترقي:

1-1-تعريف النادي:

لغة: جمع نادي أندية ونوادي وهو مجلس القوم ما داموا مجتمعين فيه، ونقول نادي الرجل أهله وعشيرته[1].

كما ذكر النادي في القرآن الكريم في قوله تعالى: "... **وَتَأْتُوْنَ فِي نَادِيكُمْ المُنْكَر**..."سورة العنكبوت، الآية:29

اصطلاحا: هو عبارة عن مؤسسة يؤسسها الشعب أو الدولة ولها أهداف ثقافية، دينية، سياسية اجتماعية.

والترقي من الرقي هومن المصطلحات التي تداولها المشرق العربي والتي تعني الحداثة والتقدم[2].

تعتبر النوادي من أهم الوسائل إلى جانب المساجد والصحف في نشر الوعي الثقافي بين الشباب الجزائري المسلم خصوصا أن هؤلاء الشباب كانوا يجهلون التجمعات الثقافية، وذلك منذ أن وطأت أقدام الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر، من خلال تطبيقه[*]لقوانين الأنديجينا التي كانت تحرمهم من عقد الاجتماعات، ففي هذه الفترة كانت الكثير من الحركات الجزائرية داخل البلاد

---

[1] الوناس الحواس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954)**، الجزائر، دار شطامي، 2013، ص 142.

[2] المرجع نفسه، ص.144.

[*] **قوانين الأنديجينا:** هو مجموعة من النظم والأوامر التي يطبقها لحكام العسكريون والمدنيون على الأهالي الجزائريون الذين لم يرتقوا إلى مستوى الاندماج مع كيان فرنسا وكان هؤلاء يحاكمون أمام محاكم إدارية خاصة وتطبق عليهم عقوبات قاسية وغير موجودة في القانون الفرنسي. **يراجع:** عبد العزيز رفاعي، **الحركة القومية وفي إفريقيا، (أصولها، نشأتها، تطورها)**، القاهرة، ط1، (د. د. ن)، 1962، ص .41.

تتسم بقلة التنظيم[1]ولكن مع حلول القرن 20 أصبح الشعور قويا بضرورة تأسيس أندية عربية توعوية في البلاد على اعتبار أن هذه النوادي تسهل عملية الاتصال بين المجتمع وتساهم في تبادل الآراء وتكوين علاقات جديدة ومن هذه الأندية التي أسست نادي الترقي[2].

1-2-تأسيس نادي الترقي:

من بين الظروف التي أدت إلى تأسيس نادي الترقي بالجزائر ما يلي:

1- تحضيرات فرنسا للاحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر.

2- الحراك السياسي الذي كان ينشره دعاة الإصلاح خاصة بعد عودة العديد من رجاله مثل (عبد الحميد ابن باديس، البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي) ومحاولة التفكير في تأسيس نادي أو جمعية أو حزب يجمع شتات الأمة الجزائرية.

3- بوادر الصراع ما بين رجال الإصلاح الذين كانوا يبحثون عن التغيير بأي طريقة كانت ورجال الطرق الصوفية الذين كانوا يريدون أن تبقى أوضاع الجزائر كما هي[3].

4- الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كانت تشهدها الجزائر في هذه الفترة من بطالة وسيطرت المعمرين على كل مجالات الحياة.

5- صدى حركة الأمير خالد في الجزائر في تحريك المشهد السياسي في الجزائر رغم قيام فرنسا بطرده منها[4].

ولقد جاءت فكرة تأسيس نادي الترقي من خلال مأدبة عشاء أقيمت بمنزل السيد محمد بن مرابط خلال صيف 1926م بحضور 32 رجلا من كبار الأعيان في الجزائر العاصمة، والذي تقرر فيه ضرورة إنشاء نادي يكون وجهة لكافة طبقات المجتمع الجزائري، لتبادل الآراء حول القضايا السياسية والثقافية، الاقتصادية، والاجتماعية خير من الجلوس في المقاهي.[5]

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص .149.

[2] المرجع نفسه، ص .150.

[3] الوناس الحواس، المرجع السابق، ص .143.

[4] المرجع نفسه، ص .144.

[5] نفسه، ص .147.

وبهذا الشأن يقول المدني: "... **هلا فكرتم في تكوين نادي كبير ضخم ممتاز يقع في أحسن حي ويؤثث أحسن تأثيث يلم شملكم، ويجمع شعثكم ويجعلكم مجتمعين مرغمين كل يوم، فمن هذا الاجتماع لا اجتماع المقاهي العامة... وتتكون الأفكار وتظهر الآراء.....وتبدوا الحركات الصالحة فمن رام منكم النهضة الاقتصادية وجد حوله رجاله رجال الاقتصاد، ومن رام الإصلاح الاجتماعي وجد من يبحث عن الإصلاح الاجتماعي...**"[1].

لاقت هذه الفكرة التي طرحها المدني استحسان الحاضرين، من أجل تكوين نواة أولى لنادي يجمع شمل الجزائريين، وقد أخذ كل واحد من الحاضرين مهام معينة بالعمل على تجسيد الفكرة على أرض الواقع، ويضيف المدني قائلا: "**أن الفكرة سهلة التنفيذ ويلزمها ثلاثة أمور المال وعندكم والحمد لله، والرجال وأنتم عصبة قوية من الرجال، العزيمة وفيكم العزيمة الصادقة فلو عزمتم كانلكم النادي في أقرب وقت...**"[2].

ومن هنا تكلف السيد محمد بن ونيش ومحمد بن المرابط والمناصلي بدفع المال، وكلف المدني بالبحث عن المقر الذي سيقام فيه النادي، كما تكلف المدني أيضا رفقة مجموعة من العلماء بكتابة القانون الأساسي للنادي، وبالفعل تم إيجاد مقر النادي والذي كان بوسط العاصمة في الطابق الثاني من عمارة مقابلة للجامع الجديد لساحة الشهداء وبخصوص التسمية فقد اقترحها المدني وقبلت من طرف الجميع، وكان يوم الافتتاح 03جويلية 1927م[3].

امتنع المدني من أن يكون ضمن المجلس الإداري للنادي، لكيلا يقال بأن الحزب الدستوري التونسي هو المنفذ لهذا التأسيس باعتبار أحمد توفيق المدني كان من بين أعضاء ومؤسسي الحزب الدستوري التونسي[4].

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .167.

[2] المصدر نفسه، ص .169.

[3] عبد الغني حروز، **نادي الترقي ودوره في الحركة الإصلاحية بالجزائر (1927-1939)**، رسالة شهادة أستاذ تعليم ثانوي، قسم التاريخ و الجغرافيا ، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب و العلوم الإنسانية ،بوزريعة-الجزائر،2007-2008م،ص.38.

[4] بكاكرية جودي، المرجع السابق، ص .318.

ويمكننا القول أن الغرض أو الهدف الأساسي من تأسيس نادي الترقي هو الرقي الديني والاجتماعي للشعب الجزائري، بالإضافة إلى طرح ومناقشة الوضعية العامة التي آلت إليها الجزائر العاصمة في النصف الأخير من العشرينيات[1].

تولى الشيخ عبد الحميد بن باديس[*] إلقاء سلسلة من المحاضرات العامة بالنادي، وبخصوص تأسيس نادي الترقي يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس للمدني: "أرجوا من الله أن يسجل لك هذا العمل في سجل حسناتك يا المدني..." وبهذا استقر النادي وعظم أمره وأصبح قبلة القصاد من كل بلاد فقد كان بمثابة ميلاد جديدا للقومية الجزائرية حسب تعبير المدني[2].

وبخصوص تأسيس نادي الترقي يقول المدني: "**إن تأسيس هذا النادي صفحة بيضاء من صفحات التاريخ القطر الجزائري برمته وذلك من خلال الأهمية الكبيرة والانعكاسات الإيجابية التي خلفها النادي من حركات بناءة صميمة أحية القومية والنهضة الجزائرية بأكملها.**"[3].

قام النادي بعدة مشاريع منها: أولا العمل على تأسيس جمعية الفلاح، جمع شمل وحدة النواب الجزائريين، اجتماع مؤتمر طلاب شمال إفريقيا، تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية الكبرى مقاومة سياسة التجنيس، إعانة الكفاح القضية الفلسطينية، تأسيس جمعية العلماء المسلمين محاولة تكوين بنك إسلامي جزائري، مقاومة التبشير المسيحي، تأسيس جمعية الزكاة، كما كان لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ركنا أساسيا في بناء القومية الجزائرية الخالدة[4].

---

[1] عبد الغاني حروز، المرجع السابق، ص ص.38-39.

[*] **الشيخ عبد الحميد ابن باديس:** (1889- 1940م)، هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس ولد بقسنطينة في أسرة مشهورة بالعلم والثراء أتم حفظ القرآن افي 13 من عمره وفي 1908م سافر إلى تونس وألتحق بجامع الزيتونة، في سنة 1911م بدأ حياته التعليمية تدريسا ووعظا بقسنطينة وفي 1931م انتخب رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويعد من أبرز كتاب المقالة الصحيفة الإصلاحية طيلة عشرين سنة (1920- 1940م)، توفي في 12 أفريل 1940م بقسنطينة **يراجع:** عمار الطالبي، **آثار عبد الحميد بن باديس**، دمشق، دار اليقظة العربية، 1918،ج1، ص .72.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص ص.170-175.

[3] المصدر نفسه، ص .165.

[4] نفسه، ص ص.170-175.

2-نشاطـه في جمعيـة العلماء المسلميـن الجزائرييـن:

ارتبط ظهور النهضة بالجزائر بالنهضة الإسلامية بالمشرق والتي قادها جمال الدين الأفغاني (1838-1888م) رغم أنها كانت متأخرة ولم تظهر إلا بعد الحرب العالمية الأولى مع الشيخ شكيب أرسلان ومحمد عبده ورشيد رضا، فقد ساعد انتشار التيار الإصلاحي بالجزائر عبر صحافة المنار وعمل الشيخ رشيد رضا، وزيارة الشيخ محمد عبده إلى الجزائر سنة 1903م كل هذا ساهم في ظهور الحركة الإصلاحية بعد ما أخذت فئة قليلة من المتعلمين التساؤل حول مستقبل البلاد كما لقي هذا التيار صدى وتجاوب من قبل المثقفين الجزائريين[1].

ونظرا لما عرفته الجزائر خلال الفترة الواقعة ما بين 1920-1931م من يقظة عامة شملت جميع مجالات الحياة (سياسيا، اقتصاديا، أدبيا، دينيا، صحفيا)، فقد جاءت هذه النهضة كما يقول البشير الإبراهيمي "**بعد شعور الأمة بسوء الحال...، والشعور بالفساد هو أول مراحل الإصلاح**"[2]

في الحقيقة تعتبر مسألة ميلاد جمعية العلماء المسلمين من أهم المسائل التي اختلف فيها المؤرخون المعاصرون فقد شكلت محطة هامة لمناقشات المؤرخون بالإضافة إلى تضارب وتصادم الروايات لدى أعضاء اللجنة التأسيسية وعليه سنحاول من خلال ما توصلنا إليه في بحثنا أن نبرز الدور الذي أداه أحمد توفيق المدني في هذه الجمعية.

مما لا شك فيه أن ميلاد جمعية العلماء المسلمين لم يكن وليد الصدفة بل نتيجة لفترة هامة من العمل الإصلاحي كللت نهايته بتأسيس الجمعية في ربيع 1931م، وحسب رواية الإبراهيمي فإن فكرة إنشاء الجمعية ولدت في المدينة المنورة سنة 1913م أثناء لقاء ابن باديس والإبراهيمي[3].

---

[1] Jacques carret, pré sadeksellam, **l'association des oulémas d'Algérie**, Algérie, Edition alem el afkare, p p.31-33.

[2] عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى (دراسة تاريخية وأيدولوجية مقارنة)**، (قسنطينة_ الجزائر) ، ط.2، دار مداد، 2009، ص .132.

[3] أحمد مريوش ، **الشيخ الطيب لعقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر،ط.1 ، دار هومة، 2007، ص .136.

وبعد الحرب العالمية الأولى ومع مطلع الثلاثينيات 1924مأبلغ الشيخ عبد الحميد ابن باديس البشير الإبراهيمي بأنه عقد العزم على تأسيس جمعية تحت اسم "جمعية الإخاء العلمي"، وطلب منه صياغة قانونها الأساسي فاستجاب الشيخ البشير الإبراهيمي(*) لذلك، لكن التجربة فشلت ولم تستطع أن تخرج إلى أرض الواقع وذلك بسبب الخلافات المذهبية التي كانت بين المصلحين والمحافظين التقليديين(1).

لقد لعبت الاحتفالات المئوية دورا كبيرا في الإسراع بإنشاء ج. ع. م. ج وذلك نظرا لما أحدثته من استفزاز وتحدي للمشاعر الدينية والوطنية للشعب الجزائري(2).

وعليه فقد تعهد عددا كبيرا من العلماء الذين شاهدوا تلك الاحتفالات بقولهم "لقد احتفلوا بعيدهم الأول (أي الفرنسيين) ولكنهم لم يحتفلوا بعيدهم الثاني"، ومن هنا يتضح بأن الهدف الأساسي من إنشاء الجمعية كان هدفا دينيا وطنيا، سياسيا بالدرجة الأولى(3).

وحسب رواية الشيخ خير الدين أن ابن باديس قام بدعوة محمد عبابسة لزيارته بقسنطينة وطلب منه اختيار مجموعة من المصلحين يكونون بعيدين عن أنظار الحكومة وأصحاب الزوايا

(*) **الشيخ البشير الإبراهيمي:** ولد في 19جويلية 1889م برأس الواد بسطيف، رحل سنة 1911م إلى الحجاز و استقر بالمدينة المنورة أين تلقى تكوينا عاليا في اللغة و الفقه و العلوم الإسلامية ،ساهم مع ابن باديس في تأسيس ج. ع. م. ج ،وأختير رئيسا لها بعد وفاة ابن باديس ،انتقل في 1952م إلى المشرق العربي و استقر بالقاهرة وبقي هناك إلى غاية اندلاع الثورة حيث كان نشاط فعال لصالح القضية الجزائرية توفي في 20 ماي 1965م. **يراجع** : عاشور شرفي، **معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم)**، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2009، ص .266.

(1) عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطوير الحركة الوطنية**، المرجع السابق، ص ص 93- 126.

يذكر أبو القاسم سعد الله بأن عوامل ظهور الجمعية لا تزال غير مدروسة وأن مقولة أنها جاءت كرد فعل على الاحتفالات المئوية لا يكفي كسبب مقنع. **يراجع: أبحاث آراء في تاريخ الجزائر**، (بيروت، لبنان)، ط.1، دار الغرب الإسلامي، 1996، ج4، ص 143.

(2) عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية**، المرجع السابق، ص ص 93- 126.

(3) عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الأخرى**، المرجع السابق، ص 1.32.

ويقوم بمساعدة هذه الجماعة بتوجيه دعوة إلى العلماء بتأسيس جمعية بالعاصمة فاختار بذلك محمد عبابسة كل من (عمر إسماعيل، محمد العاصمي، أحمد توفيق المدني.)[1].

وبهذا الصدد يقول أحمد توفيق المدني: "**كنا أربعة رجال لا خامس لنا... الشيخ محمد العاصمي وعمر إسماعيل... ومحمد عبابسة بالإضافة إلى شخصه، وذلك سنة 1930م وتناقشنا بإسهاب في الآثار المؤلمة التي تركتها الاحتفالات المئوية على الرأي العام الإسلامي في الجزائر... بعدها حمي وطيس الحديث... لهذا فإن الحركة التي يجب أن نفكر في إنشائها، يجب أن تكون صورة من روح الشعب... ولا تكون طبعا سياسية، وإنما تكون بصفتها ممثلة لروح الشعب وإحساسه مهيمنة على السياسة، موجهة لها توجيها صحيحا... وجاء دور التفكير في إنشاء مثل هذه الحركة وإخراجها من طور التفكير إلى طور التنفيذ... وقال العاصمي لندعها إذن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين..**"[2].

كما وجه عمر إسماعيل نداء من خلال مجلة الشهاب 1931م وجريدة النجاح مفاده أن من يصل إلى إنجاز المشروع له هدية قيمتها ألف فرنك[3].

ويذكر المدني أنه كتب بخط يده مائة وعشرون دعوة لعلماء القطر الجزائري من أجل عقد اجتماع في العاصمة بنادي الترقي لتأسيس جمعية العلماء المسلمين فلبى الدعوة اثنان وسبعون عالما واعتذر بالكتابة والقبول نحو خمسين عالما آخرين اجتمعوا على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة 1349هـ الموافق للخامس من ماي سنة 1931م اجتمعوا في نادي الترقي بالعاصمة الجزائر بناء على دعوة اللجنة التأسيسية التي خطها المدني كما ذكرنا سالفا وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر الجزائري وهي تأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"[4].

---

(1) محمد خير الدين، **مذكرات محمد خير الدين** ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.س.ن)، ج1، ص .105.

(2) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص ص .256-257.

(3) المصدر نفسه، ص .259.

(4) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة (1920-1936)**، الجزائر، ط.2 منشورات السائحي،2007، ج1، ص ص .220-221.

كما قام المدني بتحرير القانون الأساسي الأول للجمعية وأرسل به مع رسائل الدعوة، ثم وافق عليه المجلس بالإجماع وقام(*)الأمين العمودي بترجمته للغة الفرنسية[1].

وفي اليوم نفسه تم انتخاب المجلس الإداري ولم تتبع الجمعية التأسيسية هنا لا الانتخاب السري ولا العلني بل اتبعت طريقة الاقتراح وتم تعيين ثلاثة عشر عضو(**)ووافق الحاضرون بالإجماع على هذه الشخصيات ومنه تشكل المجلس الإداري وقام هذا الأخير بانتخاب الإمام عبد الحميد ابن باديس للرئاسة غيابيا والإبراهيمي نائبا له، الكاتب العام الأمين العمودي ومساعده الطيب العقبي[2].

وفي إطار تأسيس ج. ع. م. ج يقول المدني: "**هناك شرط أساسي يجب احترامه إذا ما جمعنا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ألا وهو جمع العمال من كل الطوائف وكل المذاهب الموجودة بالجزائر حتى تمثل وحدة وطنية صميمة ثم أن البلاد تجابه اليوم تصادما بين فكرتين أساسيتين هما الإصلاح والطرقية، فكما أن رجال الإصلاح الإسلامي يكونون ولا ريب في طليعة هؤلاء العلماء، فعلينا أن نكون ضمن العلماء أيضا رجال من الطرقية بحيث يجب أن ينصهر الجميع داخل الجمعية ويخرج منها الشعب الجزائري الأصيل شابا، صالحا عملاقا.**"[3].

(*) **الأمين العمودي:** (1890-1957) ولد بوادي سوف، درس بالكتاب والمدرسة الابتدائية الرسمية، سافر إلى قسنطينة حيث تخرج بشهادة من المحاماة والترجمة، عين كاتبا عاما لجمعية العلماء لمقدرته بالقلمين العربي والفرنسي أنشأ جريدة الدفاع للدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، كما كانت له العديد من المقالات في مختلف الصحف الإصلاحية، اغتالته اليد الحمراء في أكتوبر 1957. **يراجع:** محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903-1931)**، الجزائر، (د.د.ن) ، 2007،ج2 ، ص .232.

(1) أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، الجزائر ، دار البصائر ، 2009، ص .38.

(**) "**وهم عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، محمد الأمين العمودي، مبارك الميلي، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي، مولاي بن الشريف الطيب المهاجي، السعيد الياجوري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي، محمد الفضيل البرانتي**" .**يراجع:** عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى**، المرجع السابق، ص .134

(2) محمد خير الدين، المصدر السابق، ص ص.104- 106.

(3) عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية**، المرجع السابق، ص .101.

وبعد سفر الأمين العام للجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي إلى بلاد المشرق، عين أحمد توفيق المدني كاتبا عاما للجمعية برفقة العربي التبسي كرئيس لها[1]، وخلال هذه الفترة كانت للمدني مهام عديدة باعتباره أمين عاما للجمعية حيث اندفع إلى تأسيس المدارس والنوادي والمساجد، حيث كانت له مساهمة فعالة في تأسيس معهد عبد الحميد بن باديس[2]، وذلك سنة 1947م بقسنطينة و ضم هذا المعهد خيرة الأساتذة حيث تكونت إدارة المعهد من ثلاث هيئات الهيئة العلمية، والهيئة المالية، والهيئة المراقبة، كما ضم حوالي ألف طالبا من كل أقطار الجزائر كما استندت إدارة المعهد إلى العربي التبسي مديرا ومحمد خير الدين نائبا للمدير المولود النجار مراقبا عاما أحمد رضا حوحو كاتبا للمعهد[3].

هناك العديد من المؤرخين المعاصرين للمدني قاموا بشن حملة من الانتقاد والتجريح في حقه حيث وردفي كتاب التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح لمؤلفه محمد الطاهر فضلاء الذي يدعي أن المدني لم يشارك قط في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وأنه لم يكن بالنسبة للجمعية لا في العير ولا في النفير[4].

هذا ما أدى بالمدني للرد عليه بكتاب موثق ومدعم بأدلة قاطعة تثبت مساهمته في تأسيس الجمعية وقد جاء كتابه بعنوان "رد أديب على حملة أكاذيب"[5].

---

[1] Achour cheurfi, **écrivains algériens, dictionnaire bibliographique**, Alger, Edition casbah, 2004, p .237.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .563.

[3] عثمان سعدي، **الجزائر في التاريخ**، الجزائر، دار الأمة، 2013، ص ص .698-699.

[4] محمد الطاهر فضلاء، المصدر السابق، ص ص .58-60.

[5] أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص ص.38-39

ومن بين الشهادات التي أقرت بدور المدني في جمعية العلماء المسلمين هو حمزة بوكوشة[*] حيث يقول: "**وكانت رسائل الدعوة قد كتبها الأستاذ أحمد توفيق المدني... كما تلى المدني القانون الأساسي للجمعية والذي حرره بنفسه...**"[1]

بالإضافة إلى شهادة أحمد الخطيب "...**وأحمد توفيق كان من بين الذين هزمهم حدث الاحتفالات المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر. فانطلقوا يبحثون عن عصبة تحفظ الذات الجزائرية المهددة وتدافع عن الأخطار المحدقة بالدين الإسلامي... فاجتمع مع ثلاثة عن رفقائه بنادي الترقي وهم محمد العاصمي، ومحمد عبابسة، عمر إسماعيل وتداولوا في أمر تأسيس حركة قومية وطنية...**"[2].

ويضيف بوضرساية بوعزة قائلا: "**وعن جمعية العلماء المسلمين كحركة إصلاحية فإن أحمد توفيق المدني يعتبر أحد مؤسسيها الأوائل وواضع قانونها الأساسي...**"[3].

من خلال ما تطرقنا إليه بخصوص مسألة تأسيس ج. ع. م. ج نلاحظ الحضور القوي والمساهمة الفعالة لأحمد توفيق المدني ولكن للأسف نجد العديد من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بصفة خاصة وتناولت الحركة الإصلاحية بصفة عامة حاولت إنكار دور المدني أو بالأحرى تعمد إخفاء مساهمته البارزة ومهما يكن فإن الشيخ أحمد توفيق المدني غني عن التعريف وذلك من خلال جهوده الوطنية الواضحة منذ أن دخل أرض الجزائر المجيدة.

3-مشاركته في تأسيس جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها:

تأسست جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها في شهر جوان 1951م وكانت تحمل آمال الشعب الجزائري، كما كانت تمثل اتحاد الأمة الجزائرية في كلمة واحدة، ضف إلى ذلك أن غايتها

---

[*] **حمزة بوكوشة:** ولد سنة 1909م بالوادي، عالم من علماء جمعية العلماء ومعلم من معالمها، كاتب وشاعر، أصدر سنة 1937 جريدتي المغرب في وهران، وفي 1946م عين نائبا وكاتب ج. ع. م. ج وعضو مكتبها الدائم، انضم إلى وزارة الأوقاف بعد الاستقلال، توفي في 18 نوفمبر1994م.**يراجع:** محمد الحسن فضلاء، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، الجزائر، دار هومة 2008، ج2، ص ص .62- 63.

[1] حمزة بوكوشة، "**جمعية العلماء تستقبل سنتها الخامسة والعشرون**"، البصائر، ع 317، 6 ماي 1955، الجزائر، ص .255.

[2] بوضرساية بوعزة، **موسوعة رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ص 348.

[3] المرجع نفسه، ص .349.

تهدف إلى إنشاء كتلة قومية مناضلة، محاربة فدائية تصل بالشعب الجزائري إلى هدفه الأسمى ألا وهو الاستقلال[1].

كما كانت للجبهة عدة مطالب تمثلت فيما يلي:

1- حرية الصحافة والمؤسسات.

2- المطالبة بانتخابات حرة لا تدخل فيها الحكومة.

3- تنفيذ فصل الدين عن الدولة وترسيم اللغة العربية.

4- إطلاق سراح المعتقلين والإفراج عن مصالي الحاج الذ كان تحت الإقامة الجبرية ببوزريعة.

والمقصد الحقيقي من هذه الجبهة كان جمع سائر أحزاب الأمة ومنظماتها في هيئة واحدة لعمل مشترك وواحد[2].

ومن بين الهيئات السياسية التي شاركت في الجهة: والحزب الشيوعي، حزب انتصار الحريات الديمقراطية جماعة أحرار العلماء كان يمثلهم كل من الشيخ العربي التبسي[*] ومحمد خير الدين، ثم أحمد توفيق المدني.

وحزب انتصار الحريات الديمقراطية: أحمد مزغنة، مولاي مرباح، عبد الرحمن كيوان، حزب أحباب البيان: أحمد فرنسيس، أحمد بومنجل، البشير بويجرا، قدور الساطور.

الحزب الشيوعي يمثله: يونس كوش، مسيوكا لبيرو[3].

وكان يوم 05 أوت 1951م يوما مشهودا في تاريخ الأمة الجزائرية ففي هذا اليوم عقدت الجبهة اجتماعها العام في الملعب البلدي للإعلان عن أهدافها[4].

---

[1] عثمان سعدي، المرجع السابق، ص ص.698-699.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .401.

[*] **الشيخ العربي التبسي**: (1892-1957م) ولد بمدينة تبسه، تكون علميا في جامع الزيتونة والأزهر، اشتغل بالتعليم العربي الإسلامي بتبسة، عين كاتبا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1935 وبعدها وعين نائبا للرئيس البشير الإبراهيمي في 1940، دخل السجن عدة مرات بسبب خطاباته السياسية كما أنه ترأس الجمعية بعد غياب البشير الإبراهيمي، اغتالته السلطات الاستعمارية سنة 1957. **يراجع**: محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر (من عام 1340هـ-1921مالى عام 1395هـ-1975م)**، الجزائر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2009، ص ص .35-45.

[3] أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية للنشر، (د.س)، ص .195.

[4] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص406.

بالإضافة إلى أن هذه الجبهة كانت تجتمع في مكتب أحمد توفيق المدني، الذي أصبح مقرها الرسمي، كما كان هو أمينها العام وحافظ أموالها بالنيابة عن الشيخ لعربي التبسي[1].

ولكن شاءت الأقدار ونظرا لأعمال التدليس والتزوير التي حلت بانتخابات 18 جوان 1951م والتي ابتكرت فيها الإدارة الاستعمارية أساليب أخرى لم تكن معروفة من قبل قررت الجبهة مقاطعة الانتخابات، وعليه تركت الأمة مجالا فسيحا للإدارة الاستعمارية تستقل بأعمال الانتخابات[2].

وبهذا الصدد يقول المدني: "... **فساءت الصلاة بيننا فسل حزب البيان خيوطه من الجبهة وفقدت تجانسها**"[3].

وهنا عزمت الأمة على اتخاذ منحى أو طريق آخر، وهو طريق الثورة التحريرية التي تحطم الاستعمار وتبيده[4].

ثانيا: دوره في الثـورة التحريريــة

يعد أحمد توفيق المدني من بين الرواد الأوائل الذين رافقوا سير الحركات الثورية بالشمال الإفريقي حيث كان المدني من الذين هيئوا للثورة التحريرية منذ سنين قبل اندلاعها وذلك من خلال مساهمته العظيمة في ميدان الإصلاح ونشر الثقافة العربية وتحرير الفكر العربي الجزائري من شوائب التقليد والجمود، فكيف كان موقفه من الثورة التحريرية؟ وما هي المهام التي تقلدها في تلك الفترة؟

1-رد فعل المدنــي على اندلاع الثورة التحريرية:

يشرح لنا المدني موقفه إزاء الثورة التحريرية قائلا: "**وأني كنت قد هيأت للثورة منذ أمد بعيد لم أكن قائدا من قادتها ولا بطلا من أبطالها، بل كنت خادما لها مطيعا لأوامرها منذ يومها الأول**

---

(1) أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص .196.

(2) المصدر نفسه، ص .190.

(3) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .405.

(4) أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، المصدر السابق، ص .191.

منفذا لإرادتها، بكل ما أوتيت من قوة ومن إيمان، سواء كان ذلك في أرض الوطن أو في مختلف السفارات إلى يومنا هذا..."[1].

كما وضح لنا سيرته أثناء الثورة بقوله: "**أنني طيلة أيام كفاحي في سبيل الحرية والاستقلال خاصة أيام حربنا التحريرية الكبرى، لم أشترك أصلا وأبدا في أي دسيسة أو مؤامرة تحاك من قبل فرد أو جماعة، ضد فرد أو جماعة أخرى...**"[2].

وفي شهر جوان سنة 1955م مر على المدني ثلاثون عاما بالقطر الجزائري، من يوم أبعدته السلطات الاستعمارية إليه، واحتفالا بعمله الثوري في سبيل الجزائر، وتأكيدا على أن الأمة الجزائرية لا تنسى من أدى الأمانة بإخلاص، قرر بعض الكتاب مثل: الشيخ حمزة بوكوشة وأحمد سحنون إقامة حفلا يوم 20 جوان 1955م على شرف المدني وفي هذا الحفل كتبت العديد من المقالات تمجيدا لذكرى الثلاثون للمدني وفيما يلي سوف نقوم بعرض مقتطفات من ما قيل من أبيات تشييدا بأعمال المدني:[3]

- قصيدة عبد الكريم العقون:-

كفاحك أحمد يطوي السنين! فسل عنه يا ليت، هذا العرين
لقد ذدت عنه العدى ثابتا أمام الأعاصير، والظالمين
فأبرزت تاريخنا مشرقا كوجهك – يسطع في العالمين
ثلاثون عاما مضت في النضال أبيت بما حملت – أن تلين.

- قصيدة مفدي زكريا:-

واذكروا اليوم وهو عيد الضحايا والضحايا رمز الضحايا الأيسر
والثلاثين قد قضاها نضالا وجلادا اتخالها اليوم شهرا

كان المدني يعلم بحدوث الثورة قبل أول نوفمبر، لكنه لم يذكر اسم الرجل الذي اخبره بذلك حيث اتفق هو وخير الدين على إجراء اجتماع مستعجل في قسنطينة بتاريخ 1 نوفمبر 1954م

---

(1) أنيسة بركات درار، **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، الجزائر، (ط، خ)، (د. د. ن)، 2006، ص .259.

(2) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص ص.28-29.

(3) المصدر نفسه، ص .131.

من أجل انجاز مذكرة عن قرارات سبتمبر، وبعد اجتماع أعضاء الجمعية بمعهد عبد الحميد بن باديس، وبعد مناقشات ومفاهمات حول الثورة، قام المدني ببعث برقية للشيخ الإبراهيمي لإعلامه بالثورة، كما طلب منه نشر منشورا عاما يبارك الثورة، ويدعوا الأمة للمشاركة فيها وعليه فقد نشر الإبراهيمي في الصحف المصرية مقالا يندد فيه بالأعمال الإجرامية لفرنسا[1].

2-مهامه إبان الثورة التحريرية:

2-1-عضويته في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني:

في سنة 1956م وجهت له جبهة التحرير الوطني دعوة رسمية بأن يمثل جمعية العلماء هو والعباس بن الشيخ الحسين ويكون ضمن أعضاء الوفد الخارجي بمصر[2].

وبهذا الشأن يقول المدني: "**وقد قال لي الأخ الشهيد عبان رمضان**[*] **أننا لنشعر بنقص كبير بين صفوف الوفد الخارجي فسر إليهم بأسرع ما يمكن ولتعمر ذلك الفراغ...**"[3].

قبل مغادرة المدني الجزائر وبطلب رسمي من الجبهة، جمع رجال الجمعية وأبلغهم الغرض من سفره، فرد التبسي عليه بقوله: "والله لو استطعت الزغاريد كالنساء لا نطلق صوتي مدويا إلى أن يبلغ الشارع هذا شرف كبير لك وللجمعية..."[4].

وعليه فقد دبر المدني خطة لكي يتمكن من الخروج من الجزائر وذلك عن طريق تحججه بأن زوجته مريضة وساعده صهره مولاي أحمد مريوة، بحيث لفق له العديد من الرسوم الطبية والتقارير عن صحة زوجته، فاتخذ المدني مرض زوجته حجة ومنه اتخذ طريقه إلى باريس في

---

(1) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .147.

(2) محمد عباس، **نصر بلا ثمن (الثورة الجزائرية 1954-1962)**، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2007، ص .154.

(*) **عبان رمضان:** (1920-1957م) سياسي جزائري، انخرط في حزب الشعب الجزائري سنة 1943م، وكرس حياته يومئذ للعمل السياسي، كان عضو في المنظمة الخاصة (O.S)، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ (1956-1957م)، ايدولوجي لجبهة التحرير الوطني. **يراجع:** عاشور شرفي، المرجع السابق، ص .1008.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة **كفاح، ج**3 ، المصدر السابق ، ص .147.

(4) المصدر نفسه، ص .148.

10 مارس 1956م ومن هناك إلى سويسرا، ومنها إلى القاهرة، والتقى محمد خيضر، الأمين دباغين، أحمد بن بلة، فرحات عباس[1].

وباشر هناك عمله الدعائي والسياسي لصالح الثورة التحريرية الجزائرية.

2-1-1عملـه الدعائـي:

تمثل عمله الدعائي عندما قام الوفد الخارجي في 25 أفريل 1956م، بعقد ندوة صحفية حيث ألقى المدني نص الدعوة بالعربي، في حين ألقى النص الفرنسي فرحات عباس[*]، أعلن فيها فرحات عباس رسميا انضمامه إلى الوفد الخارجي رفقة أحمد فرنسيس وانضمام الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لـ: جبهة التحرير الوطني. و كما ركزت هذه الندوة على ضرورة استمرارية الثورة[2].

كلف فرحات عباس كل من أحمد توفيق المدني وأحمد بومنجل[**] مهمة تنظيم مصلحة الإعلام وكان هذا النشاط الإعلامي يقوم على الدعاية للقضية الجزائرية وأخبار ثورتها بهذا الشأن يذكر أبو القاسم سعد الله بأنه مر بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: من 1 نوفمبر 1954م إلى ديسمبر 1954م وتميز بالاعتماد بشبه الكلي على ما كانت تبثه إذاعة صوت العرب بالقاهرة.

المرحلة الثانية: تبدأ من مؤتمر الصومام وتميزت بالنشاط الإعلامي بجهود وطنية جزائرية حتى نهاية 1956م وذلك بإنشائها صوت وجبهة التحرير، من الإذاعة السرية الوطنية المتنقلة والتي

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة **كفاح، ج**3 ، المصدر السابق ، ص .150.

(*) **فرحات عباس:** صيدلي ورئيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، من دعاة الإدماج، ثم تطورت أفكاره وأصبح ثائر على الطغيان الفرنسي منذ 1956 كان أول رئيس للحكومة المؤقتة الجزائرية (1958- 1961). **يراجع:** فيصل هومة ومريم سيد علي مبارك، **رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ**، الجزائر، دار المعرفة، 2010، ص ص.55- 61.

(2) Ferhat Abbase, **Autopsie d'une guerre**, Edition Garnier, paris, 1980, p. 179.

(**) **أحمد بومنجل (1906-1984م):** عضو في المجلس الوطني للثورة 1959م، تولى منصب الأمين العام في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري 1946م، كما كان أحد المفاوضين في محادثات لوقرين وايفيان (1961-1962م). **يراجع:** عاشور شرفي، المرجع السابق، ص .402.

اعتمدت على وسائل بدائية، لكنها شكلت تحديا صارخا للنظام الاستعماري وواجهت أخطار كبيرة[1].

المرحلة الثالثة: بدأت بافتتاح صوت الجزائر في كل الإذاعات العربية تقريبا، فكان صوت الجزائر في تونس والقاهرة ودمشق وبغداد، عمان، الكويت، طرابلس، بنغازي في ليبيا، وكان أحمد توفيق المدني رفقة أحمد بومنجل هما اللذان يقومان بإمداد البرامج وإذاعتها من صوت الجزائر بمساعدة الطلبة الجزائريين وعليه فإذاعة صوت الجزائر كان يشرف كل من أحمد توفيق المدني وأحمد بومنجل على تنظيمها وتسييرها[2].

كما اتفق المدني مع جماعة الكفاح من أجل تحرير الشعوب الإسلامية على أن يستعمل منابر المساجد وذلك للدعاية للجزائر لكي يحفز المسلمين للمشاركة في أعمال الجهاد بالجزائر بأموالهم ومساعيهم حيث تم الاتفاق مع المخابرات على أن يتولى المدني الخطب أثناء صلاة العيد دعا فيها المصلين إلى الأخذ بيد المجاهد الجزائري ومساعدته من أجل تحرير أرضه التي اغتصبها العدو الغاشم[3].

وفعلا فقد تجاوب المصليين مع ندائه حيث بادر جموع منهم بترتيب أمر مقاطعة فرنسا تجاريا وثقافيا، ونتيجة لذلك تم استبعاد المدني من طرف هيئة جماعة الكفاح من أجل تحرير الشعوب الإسلامية، بحيث استغل الفرصة لشرح القضية الجزائرية مؤكدا بذلك أن استقلال الجزائر هو الهدف المرجو مهما بلغ الثمن، كما تحدث عن واجب العرب نحو دعم الثورة[4]،الجزائرية وبالفعل وجدت كلمات المدني صدى كبير حيث أرسل بعض أعضاء الهيئة برقيات احتجاج تندد وترفض باسم الهيئة حرب الإبادة التي كانت ستنتهجها فرنسا بالجزائر، وبعد نجاح المدني في مسعاه عين رئيسا للمكتب الخاص بجبهة التحرير الوطني في 8 مارس 1957محيث تمثلت مهامه فيما يلي:

1- ربط العلاقات مع الحكومة المصرية حسب تعليمات لجنة التنسيق والتنفيذ.

---

(1) عمر بوضربة، **تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1956-1960)**، الجزائر، دار الإرشاد، 2013، ص .162.

(2) المرجع نفسه، ص .163.

(3) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص ص146-147.

(4) المصدر نفسه، ص .286.

2- إقامة علاقات مع الجامعة العربية.

3- مراقبة الصحف والإذاعة وكل ما ينشر عن القضية الجزائرية[1].

2-1-2-عمله السياسي:

بمجرد وصول المدني إلى القاهرة، عقد في 21 أفريل 1956م مؤتمر صحفي[*]، حضره بالإضافة إلى المدني كل من بن بلة أحمد بودع العباسي بن الشيخ الحسين وآخرون، حيث طالب فيه المدني مصر بإرسال أكثر ما يمكن من السلاح إلى الجزائر وفي هذه الشأن يقول: "**إني رأيت خلال الأيام القليلة التي مكثتها بالقاهرة شيئا كبيرا من الانحلال، وعدم النظام فمثل هذه الحالة تغيب أمل الجماعة فيكم، وتجعلكم دون مستوى الثورة، فالثورة سلاح وعزيمة، فإن قويت العزيمة وقل السلاح تغلب علينا العدو...**"[2].

ومن بين هذه القرارات التي خرج بها هذا الاجتماع:

1- أن يقسموا إلى لجان مالية، سياسية لجنة السلاح.

2- تعيين مسؤولا أو مسؤولين من أجل الاتصال المنظم مع المصريين.

3- أن تكون علاقتهم مع إدارة الثورة بالجزائر علاقة منظمة، متواصلة وسريعة.

4- الاعتماد على نظام الاجتماعات الدورية المتواصلة[3].

وعليه تعد هذه القرارات مهمة جدا، حيث يرجع الفضل في ترتيبها وبلورتها إلى المدني، رغم أنه لم يمر على تواجده بالقاهرة إلا فترة قصيرة.

2-1-3-اجتماع لجنة السلاح:

في 27 أفريل 1956م انعقد اجتماع لجنة السلاح حضره كل من (محمد خيضر، أحمد فرنسيس، عباس فرحات، أحمد توفيق المدني، لمين دباغين، أحمد بودراع)، عرض أحمد توفيق

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .155.

[*] ينظر: الملحق رقم 5.

[2] أحمد توفيق المدني، حياة **كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .150.

[3] المصدر نفسه، ص .129.

المدني ولمين دباغين[*] في هذا الاجتماع القرارات المنبثقة عن اللجنة الفرعية للأسلحة والتي قررت ما يلي:

المدني ولمين دباغين في هذا الاجتماع القرارات المنبثقة عن اللجنة الفرعية للأسلحة والتي قررت ما يلي:

1- السعي بربط الصلة بالحكومة التونسية حالا وذلك من أجل السماح بدخول السلاح الجزائري إلى تونس رسميا.

2- العمل على إيجاد سفينة على الموانئ التركية والاتفاق معها على نقل الأسلحة التي وضعتها سوريا تحت تصرف الوفد الخارجي.

3- السعي لدى السيد مصطفى بن حليم رئيس حكومة ليبيا لكي يسمح بتمرير السلاح عبر الحدود الجنوبية للجزائر[1].

نوقش هذا المشروع الذي قدمه كل من أحمد توفيق المدني ولمين دباغين بصفة دقيقة من قبل أعضاء الوفد وتمت المصادقة عليه من طرف الجميع كما فوض الوفد كل من أحمد توفيق المدني ولمين دباغين للذهاب إلى ليبيا في 12 نوفمبر 1956م من أجل مقابلة الملك إدريس السنوسي ومن أجل إقناع رئيس حكومة ليبيا بضرورة تمرير السلاح إلى الجزائر عبر الحدود الليبية[2].

وفي هذا اللقاء حدد المدني مطالب الوفد والتي كانت كما يلي:

1- البحث عن وسائل حكومية ليبية تسمح لنا بأن نشتري سلاحا باسم ليبيا وأن تأتي به إلى طرابلس، ومن ثم يتم تسريبه إلى الجزائر.

2- مرور السلاح بغاية الحرية على حدود مصر الغربية ومن مدينة طرابلس.

---

[*] **لمين دباغين:** (1917-2003م) طبيب ومناضل في حزن الشعب، ثم عضو في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، قاد الحزب خلال فترة سجن رئيسه الحاج مصالي، عضو في المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، وزير الشؤون الخارجية للحكومة المؤقتة (1958-1959)، **يراجع:** فيصل هومة، مريم سيد علي مبارك، المرجع السابق، ص ص .78-80.

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .206.

[2] المصدر نفسه، ص.207 .

3- تخصيص مطار أو مطارين بالجنوب الليبي وأن تعيننا ليبيا من أجل الحصول على طائرة أو طائرتين ولو من النوع القديم من أجل تمرير السلاح جوا إلى الصحراء الجزائرية[1].

وبعد اجتماع مطول قرر رئيس الحكومة الليبية مصطفى حليم ما يلي:

* قرر مصطفى حليم وضع مطار بلدة تالوت ومطار آخر جنوب فزان تحت تصرف القيادة الجزائرية.
* أنه توجد إمكانية لشراء الأسلحة في طرابلس، وهناك من هو مستعد للإتيان بها وتسليمها للمركز العسكري الجزائري.
* إن الطائرات التي يمكن بها التهريب أنما هي طائرات من نوع دوكوتا (DOKOTA) وهذا النوع من الطائرات القديمة تصلح لتسرب بالجبال، بالإضافة إلى أن طيرانها منخفض حتى لا يستطيع الطيران الفرنسي كشفها عن طريق الرادار.

كان رد فعل الملك الليبي إدريس السنوسي: "**إن ليبيا حكومة وملكا، لا تؤيد الكفاح التحريري الجزائري بل هي تشترك فيه روحا وبدنا، اعتبروا المطارات بين أيديكم الآن فمن أردتم الأخصائيون المصريون إصلاحها فهي مطارات جزائرية... أما السلاح الجزائري فقد أصدرت أمر لقائد الجيش وهو أصدر أمره لقائد الحدود بأن يدخل حرا طليقا**". وبالفعل فقد نجح المدني ولمين دباغين في إقناع مصطفى حليم والملك إدريس السنوسي[2].

2-2-عضويتـه في المجلـس الوطنـي للثورة:

يعتبر مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956م إحدى الحلقات الهامة في تاريخ ثورتنا التحريرية، حيث أنه أرسى بشكل عملي قواعد الثورة ووطد هياكلها، بعد أن أكدت صمودها مدة عامين كاملين وبذلك فقد شكل هياكل جديدة يفترض بها أنها كفيلة بأن تضم السير الحسن للثورة[3].

---

[1] وهيبة سعيدي، **الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح (1954-1962)**، الجزائر، دار المعرفة،2009، ص .77.

[2] المرجع نفسه، ص .78.

[3] مسعود عثماني، **الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب**، (عين مليلة-الجزائر)، دار الهدى،2013، ص .239.

ومن بين الهياكل التي أرساها مؤتمر الصومام المجلس الوطني للثورة، ومن خلال هذا الأخير فقد استطاع أن يحقق الانتقال من القيادة الفردية إلى القيادة الجماعية، حيث ضم هذا المجلس 34 عضو منهم 17 عضو دائما و17 إضافيين فقد كان بمثابة السلطة التشريعية التي تبث في القضايا المصيرية للثورة الجزائرية ويجتمع مرة واحدة في السنة[1].

وقد ضمت قائمة الأعضاء الدائمون ما يلي: مصطفى بن بولعيد، زيغود يوسف، كريم بلقاسم، عمرو عمران، العربي بن مهيدي، رابح بوضياف، رابح بيطاط، عبان رمضان، بن يوسف بن خدة، عيسات أيدير، محمد بوضياف حسين آيت أحمد، محمد خيضر، أحمد بن بلة، أحمد توفيق المدني، لمين دباغين، فرحات عباس، أمحمد يزيد[2].

وعليه فالمجلس الوطني للثورة هو عبارة عن برلمان لجبهة التحرير الوطني يمثل مختلف الاتجاهات الوطنية الأساسية، حزب الشعب الجزائري، حركة انتصار الحريات الديمقراطية، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3].

يصف المدني مؤتمر الصومام بقوله: "**بعد مؤتمر الصومام... أصبحنا نعرف من المسؤول... خضع الجميع لسلطة مركزية واحدة وأصبحنا، في القاهرة وغير القاهرة، نعلم من نحن، ونعلم ما وظيفتنا، ونعرف ما هي واجباتنا، ونعرف خصوصا لمن نحن تابعون، ...وضحت معالم الطريق...**"[4].

2-3-حادثة اختطاف قادة الثورة وقضية رئاسة الوفد الخارجي:

تبدأ هذه المرحلة بحادثة اختطاف زعماء الجزائريين قادة الوفد الخارجي (محمد خيضر حسين آيت أحمد، محمد بوضياف، بن بلة)، في يوم 22 أكتوبر 1956م، حيث كانوا متوجهين من المملكة المغربية إلى تونس من أجل تمثيل جبهة التحرير الوطني في ندوة تونس المغاربية الذي كان مقرر أن تجمع كل من الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة والملك المغربي محمد الخامس

---

(1) عبد الوهاب بن خليف، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، الجزائر، ط.1، دار دزاير أنفو، 2013، ص 244.

(2) عبد الله مقلاتي، **مواثيق ووثائق الثورة الجزائرية (دراسة تحليلية)**، (د.ب)، دار شمس الريحان للنشر، 2013، ص .139.

(3) وزارة الثقافة، **النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954**، تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، الجزائر ،2009، ص.71.

(4) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .333.

والوفد الخارجي لجبهة التحرير، فقد تم تحويل الطائرة إلى مطار الدار البيضاء بالجزائر واعتقل أعضاء الوفد الخارجي[1].

وإذا كان الفرنسيون لا يعرفون المكانة الحقيقية للمختطفين فإن السيد فتحي الذيب ذكر أنهم: "**من أقوى العناصر المسيطرة على الكفاح في الداخل والخارج وأن السلطان محمد الخامس والحبيب بورقيبة يعتبر أنهم يحملون مبادئ ذات طابع خطير على مستقبلهما**"[2].

في الحقيقة كان تصريح فتحي الذيب هذا مجهول الأسباب، وعليه فمن غير المعقول أن نصدق مثل هذه الأقوال التي تتهم المغرب الأقصى وتونس بالتآمر مع فرنسا على الثورة فهذا الادعاء لا أساس له من الصحة ولا يصدقه إلا من كان يجهل تاريخ الحركة الوطنية في شمال إفريقيا، ولو كان في نية بورقيبة أو محمد الخامس التعاون مع فرنسا ضد ج. ت ولما سمحا لهذه الأخيرة باستعمال أرض بلدهم كقواعد خلفية لجيش التحرير الوطني واستخدامها كمراكز عبور لتمرير الأسلحة والذخيرة داخل الجزائر[3].

إن المتمعن للظروف التي وقعت فيها حادثة اختطاف الطائرة يستنتج حتما أن هذه الأخيرة كانت مجرد عملية عسكرية أعدت لها المخابرات الفرنسية ونفذتها السلطات الاستعمارية الحاكمة في الجزائر[4].

نتج عن هذه الحادثة فراغ كبير في القاهرة حيث سعى النظام المصري لتنصيب أحمد توفيق المدني على رأس الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بتفويض من بن بلة[*] فقام المدني بإصدار قرارات مهمة رآها تخدم الثورة والجبهة معا.

ومن أهم هذه القرارات ما يلي:

---

(1) Alistair Horne, **histoire de la guerre d'Algérie**, paris, Edition dahlab, 2007, p .164.

(2) فتحي الذيب، **عبد الناصر وثورة الجزائر**، القاهرة، ط.2، دار المستقبل العربي، 1990، ص .269.

(3) محمد العربي الزبيري، **قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر**، الجزائر، (د. د. ن)،2007، ص 105.

(4) المرجع نفسه، ص .106.

(*) **أحمد بن بلة:** ولد سنة 1918م، أحد قادة الثورة، في 1945م انضم إلى حزب الشعب الجزائري (ج.أ.ح.د) خلف حسين آيت أحمد على رأس المنظمة الخاصة ألقى عليه القبض في 1950م بالعاصمة، تمكن من الفرار 1952م والتحق بالقاهرة وصار عضو في الوفد الخارجي. **يراجع:** عاشور شرفي، المرجع السابق، ص ص235-236.

* إرسال برقيات احتجاج صارخة لملوك ورؤساء الجمهوريات والدول الصديقة وكل رؤساء العرب.
* إلقاء خطابات مؤثرة في إذاعة صوت العرب موجهة للشعب الجزائري يطمئنهم أن السلاح سيدخل البلاد مهما كانت الظروف.
* الطلب بواسطة وفود العرب المتجمعين في القاهرة من كل الدول العربية أن تعلن إضرابا جماعيا احتجاجيا على الاختطاف وتأييدا للكفاح الجزائري.
* توالي عقد الندوات الشعبية بالقاهرة ومدن الجمهورية وبقية البلاد العربية لاستغلال الموقف ويفند كل ادعاءات فرنسا التي تقول أن رأس الثورة قد قطع[1].

وفعلا تمت المصادقة على هذه القرارات من قبل فتحي الذيب وهدام وبدأوا بالعمل حيث أرسلوا برقيات إلى كل البلدان العربية.

وقد كان لتصرف المدني هذا انعكاسات إيجابية لأنه قلب الوضع العربي لصالح القضية الجزائرية، حيث قامت الدول العربية بمناشدة فرنسا لإطلاق سراح السياسيين المعتقلين، ومن بينها: "رسالة أمير الشارقة صالح الحارثي يقول فيها: "نحن العرب لا يزيدنا مثل هذا العمل إلا أيمانا بعروبتنا وتوحيدا لصفوفنا..." بالإضافة إلى ذلك فقد طالب المدني جامعة الدول العربية بمناشدة السلطان محمد الخامس ملك المغرب والحبيب بورقيبة للتدخل السريع واستخدام نفوذهما لدى فرنسا لإخراج الزعماء الجزائريين على اعتبار أنهم كانوا في ضيافة السلطان المغربي بالرغم من كل هذا فقد اتهم المدني بسعيه لفرض سلطاته فتتبقى جهوده هذه كلها مهمة لخدمة الثورة ولجبهة التحرير الوطني[2]،في القاهرة وبهذا الخصوص يرد فتحي الذيب "كيف لهم أن يتهموه بذلك وبن بلة هو الذي رشحه في حالة غيابه"[3].

ونتيجة لهذا كادت أن تنشب فتنة من جديد داخل الجبهة، بين كل من أحمد توفيق المدني الذي نصبته المخابرات المصرية بدعوة تنفيذ وصية أحمد بن بلة التي أوصى بها كل من عزت

---

(1) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .218.

(2) المصدر نفسه، ص .315.

(3) نفسه، ص .318.

سليمان، وفتحي الذيب، وذلك بالتعاون مع المدني في حال غياب قيادة الوفد أو حدث طارئ وبين لمين دباغين الذي كان يحمل تكليفا رسميا من قيادة الثورة لجنة التنسيق والتنفيذ من أجل قيادة الوفد الخارجي[1].

وحسب ما روى المدني أنه عقد اجتماع بعد عودة لمين دباغين وأحمد فرنسيس إلى القاهرة حضره كل من (محمد لمين دباغين، أحمد توفيق المدني، أحمد فرنسيس، أحمد بودة، عبد الحميد مهري، محمد الغسيري، عباس بن الشيخ الحسين...) حيث قدم المدني في هذا الاجتماع تقريرا عن تطور الأحداث بالقاهرة منذ حادثة الاختطاف وقد تضمن التقرير ما يلي:[2]

1- أن أحمد بن بلة وخيضر هما من قدما المدني إلى مسؤولي المخابرات المصرية عزت سليمان وفتحي الذيب وأخبروه أنه هو من يمثلنا أيام غيابهما.

2- محاولة مسؤولي المخابرات المصرية من حسن نية فرض المدني رئيسا للوفد وذلك تنفيذا لوصية حمد بن بلة ومحمد خيضر[*].

3- تحريف المخابرات المصرية لأحاديث المدني مع الصحف المصرية[3].

4- استيلاء المخابرات المصرية على كل وثائق أحمد بن بلة بدعوى أنها تحوي أسرار عسكرية.

كما أعلن المدني خلال هذا الاجتماع أنه سيضع الأمور تحت يدي الحضور واقترح ما يلي:

* الإعلان أن لمين دباغين هو رئيس الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني ولما يكلفه من تكليف وثقة لجنة التنسيق والتنفيذ.

* الإعلان عن قبول الوفد بمقررات مؤتمر الصومام وينفذ ما يتعلق بأمور الوفد.

---

[1] عمر بوضربة، المرجع السابق، ص .171.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .384.

[*] **محمد خيضر**: ولد في 13 مارس 1912بالجزائر العاصمة، التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية وواصل تعليمه بها إلى المرحلة المتوسطة، انخرط في نجم شمال إفريقيا أنظم أيضا بحزب الشعب في 1937م، وكان عضو في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وبعد اندلاع الثورة التحريرية أصبح عضو في الوفد الخارجي لجبهة التحرير، بالإضافة إلى عضويته في لجنة التنسيق والتنفيذ. **يراجع:** عاشور شرفي، المرجع السابق، ص .4052.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .385.

* الإعلان بأن الوفد الخارجي ما هو إلا منفذا لأوامر قيادة الثورة الممثلة في لجنة التنسيق والتنفيذ والمجلس الوطني للثورة[1].

وتم إبلاغ المصريين بما اتفق عليه الحاضرون في الاجتماع وقد تحفظ المصريين في البداية على رئاسة لمين دباغين كما تحفظوا على قرارات مؤتمر الصومام والمجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، بالرغم مما أبدوه من دعم للثورة الجزائرية إلا أنهم كانوا يريدون التدخل في كل التفاصيل وتسيير الأمور، وفق ما يحلو لهم بحجة ضمان استمرار الثورة وسيرها في فلك عربي إسلامي[2].

ثالثا: دوره السياسي في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

اهتمت الحكومة المؤقتة بتفعيل علاقاتها ونشاطها الخارجي وذلك بتشكيل بعثات رسمية لها إلى الدول التي اعترفت بها، ومنذ الأيام الأولى لتأسيسها برمجت زيارات للبلدان الشقيقة والصديقة حيث كان الدعم المادي والعسكري هاجس الحكومة في تلك الفترة.

1-نشاطه الدبلوماسي:

في إطار دعم القضية الجزائرية ونصرتها زار أحمد توفيق المدني العديد من البلدان العربية الإسلامية بهدف التعريف بالقضية الجزائرية بحيث لم يقتصر نشاطه بالقاهرة فقط بل أنه كان يتصل بالبلدان العربية بأمر من جبهة التحرير الوطني.

سافر المدني إلى المملكة العربية مستغلا بذلك موسم الحج حيث كان معه كل من الشيخ العباس بن الحسين وعمر دردور في إطار الحصول على المساعدة العربية للجزائر ماليا لأنها بحاجة للسلاح والمال[3].

ولما كان للبشير الإبراهيمي دورا كبيرا في خدمة القضية الوطنية بالعراق إلا أن نشاط المدني زادها أكثر فعالية ففي 27 جانفي 1959 ومع اقتراب اجتماع حلف بغداد أراد المدني أن يستغل الفرصة لكسب أعضائه خاصة وزراء الخارجية (العراق، إيران، تركيا، باكستان) فحرر إليهم رسالة

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص ص .386-387.

[2] عمر بوضربة، المرجع السابق، ص .108.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .528.

أمضاها رئيس الوفد طلب فيها المساعدة والتأييد للقضية الجزائرية وذلك بحكم العلاقة الدينية والثقافية المشتركة مع تلك الدول على أساس الضغط على فرنسا[1].

كما انتقل المدني إلى الكويت والتقى بالأمير عبد الله السالم الصباح الذي وعده بالمساعدة حيث يقول: "**نحن نشارككم في كفاحكم فلا تحزنوا، سيزداد مقدار إعانتنا على مقدار ما ستزداد مداخيلنا وأنكم لواجدون عندنا بحول الله ما تحبون**"[2].

بعدها سافر إلى السودان[*]رفقة الشيخ العباس بن الحسين وآخرون فحضر مجلس السيادة حيث حدثهم عن الهدف الرئيسي من وراء زيارته فأكدوا بذلك أن السودان تؤيد كفاح الجزائر لكنهم اعتذروا عن الدعم المادي بالمال والسلاح بسبب أنهم شعب فقير، كما أكد رئيس الوزراء عبد الله خليل أنه بإمكان السودان الدفاع عن القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة[3].

وفي نفس السياق كان له زيارة للأردن رفقة فرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة آنذاك والوفد المرافق له حيث لقي ترحيبا كبيرا من أمين العاصمة ومحافظها ضيف الله الحمود، حيث أقام مأدبة عشاء حضرها رئيس الوزراء الأردني، وعدد كبير من الأعيان والنواب وكبار المسؤولين العديد من الأوساط الشعبية، تم من خلالها استعراض تطورات القضية الجزائرية[4].

---

(1) أسعد لهلالي، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962**، الجزائر، ط.1، دار الحكمة للنشر، 2015، ص .219.

(2) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .528.

(*) ينظر: الملحق رقم 6.

(3) أسعد لهلالي، المرجع السابق، ص .219.

(4) المرجع نفسه، ص .220.

بالإضافة إلى أنه تم تشكيل لجنة رسمية ولجنة أخرى شعبية لجمع التبرعات للشعب الجزائري، حيث افتتحت الحملة بمبلغ 4000 دينار وصولا إلى جمع حوالي: 35686 دينار حيث رد المدني بكلمة شكر لرئيس اللجنة الشعبية بنصرة الجزائر والتضامن معها ضيف الله الحمود وأكد له العزم على مواصلة النضال من أجل تحقيق الحرية والاستقلال[1].

2-التمثيل الدائم في جامعة الدول العربية:

إذا كان فضل الدول العربية كبيرا على الثورة الجزائرية، فإن لجامعة الدول العربية فضلها على العرب كذلك، من خلال توحيدها للحكومات بحيث تعتبر جامعة الدول العربية الإطار الذي جمع العرب حول القضية الجزائرية[2].

والواقع أن جامعة الدول العربية اهتمت منذ نشأتها سنة 1945م بالتطورات التي تشهدها الساحة الجزائرية، كما أصبحت القضية الجزائرية ومنذ 1955م قضية أساسية في جدول أشغال دوراتها[3].

أصدر أمر من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 3 فيفري 1960م بتعيين أحمد توفيق المدني كممثل دائم لجبهة التحرير الوطني في جامعة الدول العربية[4].

كما صدر يوم 7 فيفري من نفس السنة أمر من الحكومة بتعيينه سفيرا لدى حكومة الجمهورية العربية المتحدة، مسؤولا عن كل العلاقات والاتصالات بين الجمهورية الجزائرية

---

(1) أسعد لهلالي، المرجع السابق ، ص ص.219-220.

-اتهم المدني بأن مهمته في الخارج لم تكن إلا من أجل تغطية أعماله المخابراتية، وهذا من خلال رسالة بعث بها خير الدين إلى المدني في القاهرة يعلمه أنه قد كشف من طرف المخابرات العسكرية فمن خلال هذه الوثائق يرى الطاهر فضلاء أن المدني كان متعاونا مع المخابرات الفرنسية وأن حصوله على الجنسية الفرنسية هو دليل على ذلك، لكن حسب رأينا أن جبهة التحرير الوطني لو كانت تعرف بعلاقاته مع المخابرات الفرنسية لما عينته عضو في وفد القاهرة، ثم رئيسا لمكتب جبهة التحرير، ثم وزيرا للثقافة وأن تغطيه أسرار الثورة وينقل مطالبها إلى الملوك والأمراء والوزراء، **يراجع** : الطاهر فضلاء، المصدر السابق، ص 69.

(2)عمر بوضربة، **النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (سبتمبر 1958-جانفي 1960)**، الجزائر، دار الحكمة ، 2010، ص .156.

(3) المرجع نفسه، ص .157.

(4) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .733.

والجمهورية العربية المتحدة وبهذا الصدد يقول المدني: "**وهكذا أصبحت مضطلعا، ولحسن الحظ بمسؤولية محددة معينة أقوم بها -بعيدا لحد ما-عن الدسائس والفتن والمناورات....**"[1].

وفي إطار تمثيله الدائم للجزائر في جامعة الدول العربية قام المدني بحل العديد من القضايا السياسية التي تخص القضية الوطنية في تلك الفترة منها: قضية الحدود التونسية مع الجزائر 1961م التي أثارها الحبيب بورقيبة 1959م مدعيا بأن حقوق تونس قد هضمت لكنه لم ينجح هذا الأخير في الوصول إلى هدفه أمام صلابة الجزائريين وثباتهم في الدفاع عن أرضهم، لكن حوادث بنزرت1961م جاءت لتحيي من جديد هذه الدعوة حيث حاولت الإحراز تأييد الجامعة العربية بصفة خفية بواسطة استثمار دماء شهداء بنزرت التي وصلت إلى حوالي 6 آلاف قتيل هذا ما جعل تونس تقف أمام مجلس الجامعة العربية وتطالب مندوبها السيد الطيب السحباني، بأن تقرر الجامعة العربية أنها تؤيد تونس في مطالبتها باسترجاع أرضها بضم الجنوب الجزائري إليها[2].

وهنا تدخل المدني في مجلس الجامعة قائلا: "**إن كل تأييد لمطلب تونس في صيغته الحالية إنما هو وقوف علني ضد ثورة الجزائر.... فالجزائر لا تتسامح أبدا مع أي معتد عليها وعلى ترابها ولو كان شقيقا أو صديقا... فأرجو من السادة أعضاء الوفد التونسي أن يعدلوا طلبهم وأن يحذفوا كلمة "وجنوبها**"[3].

وبعد فترة من التفاوض والتشاور بين الوفدين التونسي والجزائري استطاع المدني أن يقرب وجهات النظر ويحل المسألة بطريقة سلمية[4].

ضف إلى ذلك كان له دورا أيضا في محاولة حل العديد من القضايا الأخرى منها:

قضية التفجير النووي الفرنسي بالجزائر بمركز بحوثها النووية بالصحراء الغربية الجزائرية في 31 مارس 1960م حيث كان له موقفا صارما اتجاه هذه القضية وعمل بكل ما وسعه من أجل حلها حيث قدم العديد من الملاحظات منها:

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص ص .731-732.

[2] المصدر نفسه، ص .734.

[3] نفسه، ص .735.

[4] نفسه، ص .736.

الملاحظة الأولى: أن إقدام فرنسا على تفجير قنبلتها الذرية كان نتيجة إهمال الرأي العام العالمي للقضية الجزائرية وعدم الانشغال بها بشكل جدي.

الملاحظة الثانية: أن فرنسا اختارت الصحراء الجزائرية لتفجيراتها من أجل التأثير على الكفاح الجزائري وعلى الثورة الجزائرية.

الملاحظة الثالثة: أن فرنسا أظهرت من وراء هذه التفجيرات أنها لا تعير أهمية لا للرأي العام الإفريقي ولا للرأي العام العربي ولا للعالم[1].

كما كانت له اقتراحات على مجلس الجامعة العربية لحل القضية والتعاون ضد فرنسا والتي كانت كالآتي:

- ✓ التوصية بأن تبادر كل الدول العربية أعضاء الجامعة بقطع علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع الحكومة الفرنسية.
- ✓ السعي لدى الدول الإفريقية والآسيوية لكي تقطع علاقتها السياسية والاقتصادية أيضا مع فرنسا.
- ✓ أنه يطلب من الدول الآسيوية الإفريقية التي لم تعترف حتى الآن بالحكومة الجزائرية بالاعتراف العلني بها.

لقيت هذه الاقتراحات التي قدمها المدني على اللجنة السياسية[*] تجاوبا مع كل من الأردن، الجمهورية العربية المتحدة، السعودية، السودان، اليمن، ماعدا لبنان وليبيا رغم ماقام به المدني من كل هذه المحاولات إلا أن الجامعة لم تأخذ أي قرار عملي ضد فرنسا واكتفت بنشر استنكار بهذا الفعل الشنيع الذي أقدمت عليه فرنسا على ارتكابه في حق الجزائر واعتبرته اعتداء على حقوق الإنسان[2].

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق ، ص ص .738-739.

[*] ينظر: الملحق رقم 7.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص ص.740- 741.

استنتـــاج:

وكاستنتاج لهذا الفصل يمكنني القول أنه كانت للمدني بصمات واضحة في مسار القضية الجزائرية، ومن خلال ما سبق ذكره في هذا الفصل نلاحظ الدور الفعال الذي لعبه المدني أولا في إطار الحركة الوطنية بداية بتلك المساهمة الفعالة التي بدأها في تأسيس نادي الترقي هذا الأخير الذي كانت له توجهات ثقافية وأخرى سياسية، ضف إلى ذلك مكانته المعروفة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث كان من بين الرواد الأوائل الذين شاركوا في تأسيسها بالرغم من تلك المزاعم والادعاءات التي أتهم بها المدني، إلا أن مركزه واضح ومكانته معروفة لدى الجميع كما أن قدرات وكفاءات الرجل رشحته بأن يكون من رعيل العلماء المصلحين الذين يعملون بالارتقاء بالوطن وخدمة القضية الجزائرية، وعند اندلاع الثورة التحريرية لم يتردد المدني وكان في صفوفها منذ الوهلة الأولى، حيث كللت مسيرته إبان الثورة بمهام جليلة ومشرفة حيث أنه كان خير ممثل للجزائر في المحافل الدولية من خلال نشاطه الدبلوماسي عمل على دعم القضية الوطنية على كافة المستويات، و عند تأسيس الحكومة المؤقتة مثل الجزائر أحسن تمثيل في جامعة الدول العربية حيث قام فيها بمجهودات جبارة في إطار هذه الأخيرة تهدف كلها إلى استقلال الجزائر وتحقيق السيادة الوطنية.

الفصل الثالث:

مواقفه من القضايا المحلية والعربية ووفاته

أولا: موقفه في القضايا المحلية

ثانيا: موقفه في القضايا العربية

ثالثا: وفاتـــه

تمهيد:

خصصت الفصل الثالث لمواقف أحمد توفيق المدني من القضايا المحلية وكذا القضايا الدولية بالإضافة إلى وفاته: أولا القضايا المحلية نقصد بها القضايا التي تخص الجزائر وعليه حاولت تسليط الضوء على البعض منها مثل قضية التجنيس وموقف المدني منها وقضية انعقاد المؤتمر الإسلامي بالإضافة إلى مجازر 8 ماي 1945م، أما ثانيا فقد تناولت فيه القضايا الدولية على سبيل المثال قضايا المغرب العربي حيث بينا موقفه من القضية التونسية، والمغرب الأقصى ضف إلى ذلك تحدثنا عن القضية الفلسطينية هذه الأخيرة كان للمدني مواقف جلية اتجاهها وثالثا سأتطرق فيه وفاة أحمد توفيق المدني رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

أولا: موقفه في القضايا المحلية:

1-موقفـه من قضيـة التجنيـس:

لقد انتهجت فرنسا العديد من السياسات الاستعمارية للتغلغل في أوساط المجتمع الجزائري و من بين هذه السياسة كانت سياسة التجنيس و التي أثارت ضجة و صخب كبير في أوساط النخبة الجزائرية، حيث رفض هؤلاء الأخيرين الفكرة بقوة، حيث كانت تهدف فرنسا من خلالها إلى إيجاد نوع من التعايش بين الأهالي المسلمين و الأوروبيين و العمل على إذابة المجتمع الجزائري داخل المجتمع الفرنسي عبر عدة وسائل[1].

عرف التجنيس بكونه "تخلي الفرد تخليا كاملا عن قوانينه و عاداته التي تتعارض مع قوانين البلاد الذي أصبح مواطنا فيه و الوقوع مستقبلا تحت طائلة القوانين المدنية و السياسية لهذا البلد "[2].

يعتبر أحمد توفيق المدني من الكتاب الجزائريين مقاومة للحركات الفرنسية ورفضوا وحاربوا فكرة التجنيس، فقد كان موقفه منذ الوهلة الأولى صارما اتجاه هذه القضية، ونلتمس ذلك في مقالاته التي كان ينشرها في الشهاب فعلى سبيل المثال مقاله بعنوان "بين الموت والحياة" فيصف المدني من خلال هذا المقال الأمة الجزائرية واقفة في حيرة وهي في طريق خطير منقسمة ما بين المصلحون الذين يريدون لها المحافظة على الهوية الإسلامية، والتجنسون الذين يريدون لها الانحلال في العصر الأجنبي[3].

---

[1] جمال قنان، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830-1914)** ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1993، ص .268.

[2] المرجع نفسه، ص .269.

[3] محمد ناصر، **المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعلامها) من 1903 إلى 1931**، (د. د. ن)، 2007، ج1، ص.376 .

وبهذا الشأن يقول: "**وهل يمكن لشعب الجزائر العربي المسلم أن يصبح شعبا فرنسيا خالصا في آدابه ولغته، تقاليده وعوائده يتلخص ولو في عدة قرون من دمه الخالص ومن لغته وكل مميزاته ووراثته**"[1].

ويضيف قائلا: "**إن ذلك لمستحيل ولا ريب أن أنصار التجنيس والاندماج يدركون تمام الإدراك بأن الاحتلال الفرنسي ليس بأول احتلال وقع على أرض الجزائر...**"[2].

"**.... وقد دام الاحتلال الروماني في الجزائر زهاء القرن، مما أصبح سكان الجزائر رومانيين أثناء تلك المدة، ورضخوا قرنا لسلطة الوندال فما أصبحوا وندالا واحتلهم الروم فما رجعوا روما،... فكيف تريدون أن تندمج الجزائر أمة عالية متنازلة عن كل مميزاتها الخاصة؟، ذلك ما لم تقم به أية أمة من أمم العالم وقعت تحت الاحتلال الأجنبي**"[3].

"**فالتجنيس في المستعمرات بدعة ابتدعها الفرنسيون يريدون بها تزكية عدد الوطنيين الفرنسيين في البلاد المحتلة....**"[4].

وعليه يمكن القول أنه كان للمدني موقفا واضحا من فكرة التجنيس ونستشف ذلك من خلال أسلوبه الواضح والصريح مدعما بذلك رأيه بالحجج والأمثلة التاريخية، كما أنه صور لنا بالشواهد المحسوسة من خلال كتاباته ما آل إليه أمر المتجنسون الجزائريون من نهب السلطات الفرنسية لحقوقهم فكان ذلك بمثابة صفعة لهم لن ينسوها[5].

بالإضافة إلى أنه عرض لنا رأيه في هذه القضية، حيث قدم حل رآه مناسبا بحيث يرى أن الطريقة المثلى التي يمكن أن تنقذ الجزائر مما هي فيه عليه من ظلم وظلال، هي طريقة المحافظة على الذاتية الدينية والعربية والسير في طريق النمو والرقي داخل المنطقة الإسلامية العربية[6].

---

[1] محمد ناصر، ج1، المرجع السابق، ص .377.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .240.

[3] المصدر نفسه، ص .241.

[4] نفسه، ص .242.

[5] محمد ناصر، المرجع السابق، ج1، ص .376.

[6] المرجع نفسه، ص .377.

2-موقفه من المؤتمر الإسلامي العام: يعتبر المؤتمر الإسلامي الجزائري من أهم الأحداث السياسية التي لم تشهدها الجزائر طيلة أكثر من قرن فهو أكبر تجمع شاركت فيه مختلف الاتجاهات و مثلته مختلف الطبقات و قد تميز بالعدد الكبير للحاضرين و المشاركين كما أن مطالب التي طرحها المؤتمرون كانت تحمل أمالا عريضة في مختلف النواحي

و يعتبر عبد الحميد بن باديس هو أول من طرح فكرة تأسيس المؤتمر حيث نشر آراء له في السياسة الجزائرية في جريدة (لادفانس) الدفاع التي يصدرها الأستاذ العمودي بلسان الفرنسي وذلك في عدد 2 جانفي 1936م حيث كان من بين تلك الآراء عقد مؤتمر إسلامي جزائري لان المرجع في مسائل الأمة هو الأمة و الواسطة في ذلك هي المؤتمرات ،فبقيت الفكرة تتردد في النوادي حتى فازت الجبهة الشعبية بفرنسا فتأسس المؤتمر الإسلامي الجزائري يوم 7 جوان 1936م ، و كان غالبية من به من دعاة الاندماج و أنصار مشروع بلوم فيوليت فقرر العلماء أن يشارك فيه عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبى ،البشير الإبراهيمي ،محمد خير الدين و غيرهم من العلماء ، حيث كان لمشاركة العلماء أثر فعال في تعطيل الاندماج و إبراز الذاتية العربية الجزائرية [1]حيث جاء في مطالب المؤتمر ما يلي:

- المحافظة على الحالة الشخصية الإسلامية مع إصلاح هيئة المحاكم الشرعية بصفة حقيقية ومطابقة لروح القانون الإسلامي.
- فصل الدين عن الدولة بصفة تامة وتنفيذ هذا القانون حسب مفهومه ومنطوقة.
- إرجاع سائر المعاهد الدينية إلى الجماعة الإسلامية تتصرف فيها بواسطة جمعيات دينية مؤسسة تأسيسا صحيحا.

---

[1] البشير الإبراهيمي، "**فكرة المؤتمر**"، الشهاب، م12، ج4، المطبعة العربية الإسلامية، الجزائر، 12 جويلية 1936، ص 193.

- إلغاء كل ما اتخذ ضد اللغة العربية من وسائل استثنائية و إلغاء اعتبارها لغة أجنبية[1].

كان للمدني موقفا صريحا من انعقاد المؤتمر الإسلامي حيث كان رافضا رفضا مطلقا لمطالب هذا المشروع، حيث كانت له مطالب أخرى غير التي ينادي بها المؤتمر، وذلك استنادا لما ورد في مذكراته حيث يقول: "**اجتمع المؤتمر يوم 7 جوان 1936 وما كنت راضيا عن المطالب المقدمة، وما كنت مصادقا على الوسائل المنبوذة، كنت أقول للحاضرين يا قوم لقد رأيتم انهيار كل مطالبكم الاندماجية، ورأيتم مصادمة المستعمرين لكم.... فطوروا مطالبكم وأنت تجمعون مؤتمرا لأول مرة في تاريخ الجزائر، ونادوا بالقومية الجزائرية..... ونادوا بوجوب تكوين حكومة جزائرية وانتخاب برلمان جزائري مع حفظ حقوق فرنسا والفرنسيون بالجزائر**"[2].

عرض المدني هذه المطالب على كل الحاضرين فكان رأي فرحات عباس حيث اعتبرها ضربا من الخيال وأنها تعني إعلان الحرب على فرنسا، أما رأي عبد الحميد ابن باديس حيث أنه قال لم يحن الوقت لهذه المطالب بعد، وأنهم يريدون الإحراز على استقلال الدين وحرية العربية أولا[3].

فطلب المدني حينئذ من رجال المؤتمر أن يحضر هو بنفسه ويقنع الحاضرين برأيه، فكان رد العلماء عليه كما يلي:

"**لا تكن عامل إفساد، ولا تكن مشتت شمل، ولا تكن داعية شقاق، أترك هذه المحاولة تتم فإذا نجحت استثمرناها إلى أقصى حد، وإذا خفقت بقينا على إخفاقها سياسة أخرى ومطالب أخرى....**"[4].

وعليه اتفق المدني والحاضرين على أن لا يحضر المؤتمر، وعذره هو أنه تونسي دستوري لا يتدخل مباشرة في الشؤون الجزائرية وعليه سافر المدني إلى تونس أيام انعقاد المؤتمر.

---

[1] البشير الإبراهيمي، "**يوم المؤتمر**"، الشهاب، م12، ج4، المطبعة العربية الإسلامية، الجزائر، جويلية، 1936، ص .203.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .363.

[3] المصدر نفسه، ص .364.

[4] نفسه، ص .365.

3-موقفـه مـن مجـازر 8 ماي 1954م:

ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى ظهرت فرنسا بمظهر المنتصر ففي 8 ماي 1945م احتفل العالم الغربي بعقد الهدنة مع ألمانيا فأراد الجزائريون المشاركة في هذا الاحتفال مع التعبير عن أهدافهم في الحرية و الاستقلال و تعبيرا عن ذلك حمل الجزائريون رايتهم صبيحة ذلك اليوم في كل من سطيف ، قالمة ،خراطة ، سكيكدة ، عنابة حيث نادوا فيها بشعار الوطنية "تحيا الجزائر" و ما أن شاهده الفرنسيون حتى قام محافظ الشرطة بإطلاق النار على حاملها الشاب بوزيد شعال حيث كان استشهاده بداية لمذبحة من أفضع المذابح الاستعمارية في العالم ،اشترك فيها جميع الأوروبيين في الجزائر دامت عدة أيام أسفرت عن مقتل أكثر من 45ألف جزائري

كما كانت هذه المجازر منعطفا هاما في اتجاه القضية الجزائرية بحيث انها ساهمت في تبلور الوعي القومي لدى الشعب الجزائري الذي أصبح يؤمن بضرورة الكفاح المسلح لاسترجاع ما أخذ بالقوة ولتحقيق الحرية و استقلال الجزائر[1] .

لقد خص المدني في مذكراته كلمة عن مجازر 8 ماي 1945م حيث وصفها باليوم الرهيب في الجزائر، كان مسافرا وقتها إلى تونس وفي طريقه وهو في قالمة شاهد ما حصل يومها من قتل وتخريب وتنكيل بالشعب الجزائري كما علق المدني بدوره عن هذه المجازر وذكر لنا أسبابها كما يلي:

---

[1] محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية (1830-1954)**، الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، (د.س)، ص .204.

السبب الأول: أن حوادث 8 ماي 1945 الرهيبة الفادحة كانت من تدبير رجال العسكرية الفرنسية وزعماء الاستعمار الغاشم، حيث كانوا يريدون من خلالها القضاء قضاء نهائيا على الحركة التحررية في القطر الجزائري[1].

السبب الثاني: رغبة المستعمرين في التخلص من أكبر عدد ممكن من المسلمين، وضرب الحركة الجزائرية ضربة لا تقوم بها من بعد قائمة، كما أنهم علموا بأن مظاهرة ستقع في سطيف وبقية البلاد الشرقية احتفالا بعقد الهدنة، وأنه سيرفع بعدها العلم الجزائري، فشحنوا ما استطاعوا من جيش ومن طابور، وأعدوا الطائرات والبارجة الحربية وعزموا على اهتبال الفرصة لإعطاء الضربة القاسية[2].

بالإضافة إلى أنه كانت له كلمة شكر للحزب الشيوعي حيث ذكر أنه برز بصورة مشرقة للدفاع عن هذه المجازر وكما ورد عن لسانه: "**إنني لا أدافع عن الحزب الشيوعي وما كنت ولم أكون شيوعيا إلا أنه وجب علي أن اعترف وأنا أسجل بأن أصوات أقطاب الحزب الشيوعي بفرنسا وبالجزائر وأن لم يكونوا مبالين لنا ولا مدافعين عن حقوقنا الوطنية، إلا أن أصواتهم قد ارتفعت إلى جانب أصوات الأحرار.... فقد أفسحت جريدة "الجزائر الجمهورية" المجال لأعمدتها أمثال الجنرال توبير، وميشال هوري، فبينوا الحقائق وفضحوا المؤامرة ووصفوا الفضائع، وأمعنوا في وصفها خاصة عندما عرضت القضية على مجلس الأمة الفرنسي.**"[3].

كما وصف المدني المجازر قائلا: "**إنني كنت أرى فيما بين قالمة والحدود التونسية جموعا غفيرة من البدو يهيمون على وجوههم وكان أكثرهم مثخنا بالجراح والدماء الغزيرة تكسوه فيما كان بعض الرجال والنساء قد افترشوا الأرض وهم لا يستطيعون حراكا بعد أن نال منهم الجزع والظمأ كل منال، علمت بعد ذلك أن القتلى لم يكونون يدفنون في الأغلب لكثرتهم بل يتركون فريسة للذئاب والضباع.**"[4].

---

[1] أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص .109.

[2] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج3، المصدر السابق، ص .531.

[3] أحمد توفيق المدني، **رد أديب على حملة أكاذيب**، المصدر السابق، ص ص.110- 111.

[4] بسام العسلي، **الصراع السياسي على نهج الثور الجزائرية**، (بيروت-لبنان)، ط.1، دار النفائس، 1982، ص .154.

ثانيــا: موقفـه من القضايــا العربيـــة

1- القضيـــة التونسيـــة:

تعد القضية التونسية محورا بارزا في كتابات المدني على اعتبار أنها موطن ميلاده فارتباطه بتونس كان ارتباطا وثيقا ودفاعه عن قضيتها كان حماسيا، حيث نجد أنه وقف للدفاع عنها منذ الوهلة الأولى ومنذ نبوغه رغم صغر سنه، وذلك من خلال مواقفه الجلية اتجاهها من خلال ما سبق ذكره في الفصل التمهيدي.

لم يشكل قرار إبعاد المدني من تونس إلى الجزائر عائقا أمامه يوقفه عن مساندة الشعب التونسي بل بالعكس ازداد نشاطه ونصرته لهذه القضية وهو في الجزائر، حيث يقول "**كنت أعمل بتونس بروح جزائرية، فإذا بي أعمل في الجزائر بروح تونسية..... واكتشف أن العمل واحدا والكفاح واحدا وأن جهاد بالمشترك إنما هو وعاء متصل الأجزاء.**"[1].

والظاهرة أن تعلق المدني بتونس كان كبيرا ودفاعه عنها كان أكبر، فقد بذل جهودا كبيرة من أجل توحيد الجبهة الداخلية التونسية بهدف مواجهة الإدارة الاحتلال فقد قام بمبادرات عديدة بعد حدوث انشقاق في الحزب الدستوري، الذي نشأ عنه ظهور جناحين متصارعين سنة 1934م وعن هذه المبادرة يقول المدني "**بعد أن آلت القضية إلى خلاف مريم مؤلم وعنيف، غادرت الجزائر من جديد قاصدا تونس، ساعيا لجمع الشتات وإصلاح المؤقت مع أصحابي رجال اللجنة... فوافقوا بالإجماع على تفويض لحل المشكل لإعادة الوحدة للحزب**"، ولكنه فشل في هذه المهمة بسبب تغنت كل من الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف[2].

كما أفرد المدني العديد من المقالات بالشهاب للقضية التونسية من خلال ركن "في الشمال الإفريقي"، ومن بين المقالات نذكر مقال "مهزلة جديدة بتونس"، عرج فيه إلى السياسة التي

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص.255.

[2] عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899-1983)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري-قسنطينة، 2006-2007، ص 148.

انتهجتها فرنسا ضد رجال السياسة التونسية حيث زجت بهم في سجون الجنوب التونسي بهدف الضغط عليهم من أجل تليين مواقفهم والتراجع عن آراءهم السياسية[1].

ومن صفحات البصائر كان يوجه المدني خطاباته من أجل تعزيز الوحدة القومية لإزالة الحماية وتحقيق الاستقلال التام، بالإضافة إلى تصدره ليوم التضامن الذي انعقد بالعاصمة في 8 جانفي 1952م، مساندة ودعما للقضية التونسية بمناسبة عرضها على مجلس الأمن الدولي[2].

والحقيقة نجد أن المدني ظل مساندا للقضية التونسية ولم يترك مناسبة إلا وأظهر فيها تعاطفه معها إلى أن نالت استقلالها سنة 1956م.

2- قضيــة المغرب الأقصــى:

أولى المدني اهتماما كبيرا لقضية المغرب الأقصى، وذلك منذ أن كان بتونس حيث رأينا كما سبق وذكرنا موقفه الصريح حول حرب الريف وحول المجاهد الكبير عبد الكريم الخطابي وذلك من خلال ما نشرناه للمقال بجريدة أفريقيا الشمالية حيث يقول "**كنت يومئذ أقف الموقف الصادق الجسور مع إخوتي الأبرار في المغرب الشريف، أناضل عنهم وأنوه بأعمالهم كل أسبوع فوق صفحات البصائر، وأحمل الحملة العنيفة على خصومهم الأدنياء، وأفضح شر فضيحة سياسته التعسفية الهوجاء...**"[3].

حيث انتقد من خلال هذا المقال السياسة الاستعمارية بالمغرب وفي نفس الوقت أثنى على المجاهد عبد الكريم الخطابي وعن الدور الذي كان يلعبه في حرب الريف ونتيجة لهذا الموقف جاء قرار إبعاده من تونس إلى الجزائر كما سبق وذكرنا[4].

كما خص المدني مقالات بالبصائر من خلال ركن منبر السياسة العالمية، حيث كان يعمل دائما من خلال ما يكتبه في هذه المقالات على كشف ألاعيب ومؤامرات الإدارة الاستعمارية،

---

(1) المنصور، "**مهزلة جديدة بتونس**"، الشهاب، م11، ج7، المطبعة العربية الإسلامية، (قسنطينة-الجزائر)، 1935، ص194.

(2) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 149.

(3) أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .564.

(4) المصدر نفسه، ص .565.

كما كتب أيضا عن قضية نفي ملك المغرب محمد الخامس الذي نفته إدارة الاحتلال إلى مدغشقر وبهذا الصدد قدم المدني احتجاجا صارخا باسمه وباسم جمعية العلماء المسلمين[1].

يعبر عن رفضهم التام لهذا الأمر الذي أرتكب في حق محمد الخامس ويذكر المدني بهذا الخصوص قائلا: "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ترفع باسم مسلمي القطر الجزائري الاحتجاج الصارخ العنيف على خلع جلالة السلطان محمد الخامس بصفة غير شرعية... وتعلن أن وجهة النظر الدينية تعتبر هذا لغوا منافيا لأحكام الإسلام، أن الحكومة الفرنسية التي أشرفت على تنفيذ هذا العدوان داست به مبادئ العدالة وحقوق الأمم...**"[2]

ويضيف قائلا: "**حتى ما إذا اقترفوا إثمهم العظيم ونفذوا مكيدتهم اللئيمة فأبعدوا سليل الإشراف العلويين عن ملكه، وحاولوا بينه وبين عرشه... شحذت قلمي وأمضيت عزيمتي واندفعت أكاد أقول جبار أني في ميدان الدفاع الشريف عن حق شريف، وملك شريف**"[3]

3- القضيــة الفلسطينيـــة

يعتبر أحمد توفيق المدني من بين المؤرخين المعاصرين الذين كان لهم موقف إزاء القضية الفلسطينية، حيث اعتبرها المدني قضية العرب قاطبة وأنه من واجب كل عربي مسلم في أي قطر من أقطار الأرض أن يقف إلى جانب فلسطين، فهذه القضية ليست قضية محلية تهم إلا أهل فلسطين وحدهم، بل إنما هي مسألة العالم العربي بأسره، بل العالم الإسلامي برمته[4].

وبخصوص هذه القضية يقول المدني في مذكراته: "**أن القلوب لتنفطر والأنفس لتنقطع، لما هو جار في فلسطين البائسة التعيسة وما يريده لها القوم من تمزيق في الأوصال، وتقطيع البلاد وتثبيت قدم الصهيونية، بصفة دائمة مستمرة في أهم قسم من أقسامها**"[5].

ويضيف قائلا: "**في فلسطين لا تزال الدماء تهرق والحرمات تنتهك والديار تنسف والقوى تدمر، هناك الحرب قائمة على قدم وساق بين أنصار الحق وأنصار الباطل، أولئك يريدونها**

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .566.

[2] المصدر نفسه، ص .576

[3] نفسه، ص ص.72-73.

[4] نفسه، ص .473.

[5] نفسه، ص .440.

بلادا عربية حرة وهؤلاء يريدونها مستعمرة يهودية ذليلة لكن العالم وهو في أزماته الحادة لم يعرف لهذه القضية أي إلتفات"[1].

كما كان له تعليقات وموقف من وعد بلفور حيث كشف لنا عن السبب الجوهري الذي جعل بريطانيا تتصاع لأوامر اليهود وتسعى لتنفيذ مصالحهم حيث أرجع ارتباط الانجليز بوعد بلفور إلى المصلحة الشخصية لهم، وأن الذهب اليهودي قد أعمى أبصارهم فانقادوا لإرادة الصهاينة عميا[2]. ويعلق قائلا: "..... **ألا أن انكلترا قد ارتبطت بالعهد البلفوري ارتباطا وثيقا من أجل المصلحة وسداة الذهب، واليهود ملوك الذهب في الدنيا ينقادون الشعوب بأسرها في الطريق الذي يرونه ملائما بمصالحهم الخاصة، فلم تستطع انكلترا أسيرة الذهب اليهودي إن تنقض يديها من تصريح بلفور**"[3].

وعندما نفذ الانجليز حكم الإعدام في كل من فؤاد حجازي وعطا زبير ومحمد جمجوم، بتهمة المشاركة في حركات الدفاع ضد الصهيونيين، وصف لنا المدني المشهد، ونقل حيثيتها كما وصفتها الصحف، حيث حرص على ذكر ما قام أولئك الأبطال في سبيل القضية الفلسطينية وحبل المشنقة حول عناقهم، كما أن المدني لم يعتبر يوم إعدامهم يوم موت أو حزن بل اعتبره ميلادا جديدا لقضية فلسطين لأن في هذا اليوم أدخلها في عهد النضال العنيف فاتحة الاستشهاد التضحية والتحرير[4].

يقول توفيق المدني: "**كان يوم 21 محرم يوم تتويج الجهاد الوطني الفلسطيني بتاج التضحية.... لم تدفن في تلك القبور الثلاثة جثث الأبطال والشهداء الخالدين، كلا لقد دفن أولئك في القلوب العربية الدامية**"[5].

وبعد طرح مشروع التقسيم الأممي لسنة 1937 حمل المدني المسؤولية للعرب والمسلمين جميعا لما يحدث في فلسطين نتيجة لمواقفهم المتخاذلة حيث يقول: "**إذا قدر الله وضاعت**

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .443.

[2] محمد ناصر، المرجع السابق، ج1، ص .411.

[3] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص .439.

[4] محمد ناصر، المرجع السابق، ج1، ص .412.

[5] المرجع نفسه، ص .413.

فلسطين فإنها لن تذهب ضحية الصهيونيين بل هي تذهب ضحية المسلمين الجامدين وضحية ملوك المسلمين المتغافلين فيا عامة المسلمين ويا خاصتهم ويا ملوكهم وأمرائهم وقادتهم هذه فلسطين الشهيدة الضائعة متلاشية فماذا أنتم فاعلون؟"[1].

بالإضافة إلى أن المدني كان ينادي بضرورة العمل الجماعي من أجل تقديم المساعدة المادية والمعنوية للفلسطينيين حيث ربط عدة اتصالات بالأحزاب السياسية بالجزائر هو ثلة من العلماء مثل البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، إبراهيم بيوض، وتم تشكيل الهيئة العليا لإعانة فلسطين ضمت كل من البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، إبراهيم بيوض وكانت لها هيئة تنفيذية مركزية ترأسها أحمد توفيق المدني، قدمت هذه الهيئة دعما ماليا للفلسطينيين كما أنها قامت بالعديد من النشاطات لصالح الشعب الفلسطيني وكانت هذه النشاطات ذات طابع إدعائي وتضامني[2].

ثالثـــا: وفـاتـــه

في مطلع شهر أكتوبر 1983متضاعفت حدة الأزمات القلبية للمدني إلى أن وافته المنية في صباح يوم الثلاثاء الموافق لـ 18 أكتوبر 1983 بمسكنه العائلي بالأبيار بالجزائر العاصمة عن عمر ناهز 85 سنة، ولم تشيع جنازته في نفس اليوم الذي توفي فيه، بل تم تأخيرها إلى اليوم الموالي انتظارا للوفود القادمة من الخارج، ومن بينها عائلة المدني المقيمة بتونس، وشخصيات وطنية وتاريخية أخرى[3].

لقد كان لوفاة المدني صدى كبير على المستوى المحلي والخارجي، حيث تم الإعلان عن وفاته عبر كافة وسائل الإعلام الجزائرية إذاعة تلفزيون.

---

[1] أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج2، المصدر السابق، ص 442.

[2] البشير الإبراهيمي، "**كيف تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين**"، البصائر، ع52، الجزائر، جانفي 1948، ص 225.

[3] وسام ديدون، المرجع السابق، ص 38.

كما نشرت الصحف الوطنية الناطقة بالعربية مثل صحيفة الشعب والنصر والجمهورية والمجاهد في واجهة صفحاتها صور المرحوم مع خبر وفاته، كما بعث كل من الرئيس الشاذلي بن جديد والرئيس التونسي برقيتي تعزية لأسرة الفقيد[1].

حضر تشييع جنازة الفقيد رحمه الله عددا كبيرا من كبار المسؤولين في الدولة بالإضافة إلى أفراد أسرته، وزملائه في المركز الوطني للدراسات التاريخية الذي كان يشتغل فيه بعد الاستقلال وفي كلمة التأبين التي ألقيت أشير إلى مناقب المرحوم في خدمة القضية الجزائرية، و الثقافة العربية الإسلامية وفي إثراء المكتبة الوطنية[2].

وعليه فقد عاش أحمد توفيق المدني ثمانية عقود ونصف عاصر أهم أحداث القرن العشرين فالمدني يعتبر أحد أبناء الجزائر البررة عالما قدير، وشخصية فذة جديرة بالاحترام والتقدير كلامه حكمة وعلمه جهاد[3].

شهادات في حقه للتاريخ:

1- شهادة الشيخ عبد الرحمن الجيلالي:

"كان رحمه الله في حركة دائمة دائبة لا يفتر ولا يكل ولا يمل فكلما كان هناك مجال فسيح يرى لنفسه فيه فسحة للعمل الصالح، فيفيد ويستفيد.... ماذا عسى لي أن أحصي أو أعد مواقفه المشرقة في هذا الميدان؟ فهذه مجامع وجمعيات وهذه نواد وندوات وهذه محاضرات ومنظمات"[4].

2- الدكتور الجيلالي صاري:

الشيخ توفيق المدني فقيد الجزائر والعروبة والإسلام، هو تلك الشخصية الفذة الفريدة من نوعها التي جندت كل ما في وسعها منذ مطلع القرن وهو مقيم بالقطر التونسي الشقيق.... لا

---

[1] وسام هيدون، المرجع السابق، ص 39.

[2] عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص .252.

[3] أنيسة بركات درار، المرجع السابق، ص .257.

[4] ب وضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص .353.

زال نداء المؤلف يرن في آذاننا ولا زال في بسمات الكتاب تلك السمات المتفائلة التي عرف بها إلى أخر حياته المليئة بالكفاح وجب المعرفة والعلم، ورحم الله هذه الشخصية الفذة[1].

3- شهـادة الأستـاذ بشيـر مدنـي:

ينطبق على الرجل القول المأثور: "**في حياة كل أمة رجال وهبوا أنفسهم للعلم والفكر فأفنوا حياتهم في سبيل ذلك**" ذلك هو أحمد توفيق المدني علم من أعلام العروبة والإسلام والوطنية الصادقة فمن منا لا يعرفه؟ أنه الرجل البسيط المتواضع الورع، هذا الرجل العظيم الذي وهب نفسه لدينه ووطنه العربي الإسلامي أنه شخصية شامخة وركيزة أساسية لبناء مدرسة وطنية جزائرية[2].

---

[1] الجيلالي صاري، المرجع السابق، ص ص.278-279.

[2] بوضرساية بوعزة، المرجع السابق، ص ص.355-356.

استنتـــاج:

وفي ختام هذا الفصل يمكنني القول أنه كان للأستاذ المدني مواقف جلية في العديد من القضايا المحلية التي مست الجزائر على وجه الخصوص حيث نجده قد دافع وبشدة عن مسألة التجنيس ونادى بضرورة المحافظة على الذاتية الجزائرية، أي المحافظة على دين البلاد، وعلى لغتها، وعلى تقاليدها، ضف إلى ذلك فقد خصص العديد من المقالات عن مجازر 8 ماي 1945م والذي وصفه على حد تعبيره باليوم الرهيب، وغيرها من القضايا، بالإضافة إلى أن المدني لم يكن محصورا في دفاعه عن المسلمين بالحدود الجغرافية للجزائر فقط بل أنه تصدى لمعالجة قضايا العالم الإسلامي أيضا كالقضية التونسية حيث دافع عليها منذ أن كان صغيرا على اعتبار أن هذه الأخيرة موطن ميلاده، ضف إلى ذلك كان له موقف صريح من قضية المغرب الأقصى وكذا تعاطفه مع الملك محمد الخامس، كما أنه أولى اهتمام كبيرا للقضية الفلسطينية هذه الأخيرة التي اعتبرها أنها قضية عالمية تمس العالم الإسلامي بشكل خاص، وليست قضية محلية وفي النهاية لاحظنا وفاته عن عمر ناهز 85 سنة كرسه لخدمة القضية الوطنية وللجهاد في سبيل الأمة الجزائرية.

خاتمة

وختاما لهذه الدراسة التي تطرقنا فيها إلى النضال الثقافي والسياسي لأحمد توفيق المدني بالجزائر توصلنا لعدة نقاط أساسية تمثلت في ما يلي:

أولا: كرس أحمد توفيق المدني جهوده منذ شبابه في سبيل الإصلاح الديني وإحياء اللغة العربية، ومحاربة الاستعمار، بالرغم من تلك الاظطهادات التي تحملها بصبر.

ثانيا: يعد توفيق المدني من العلماء البارزين الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في الجزائر خلال فترة خطيرة ألا وهي فترة الاستعمار الفرنسي.

ثالثا: كانت الصحافة ضمن الاهتمامات الأولى لأحمد توفيق المدني ونظرا لما كان للكلمة من أثر بالغ في استشارة الجماهير، حيث أنه ترك بصمات واضحة في خاصته في صحيفتي الشهاب والبصائر من خلال مقالاته الشيقة المناهضة للسياسة الاستعمارية

رابعا: كان من بين الرواد الأوائل الذين رافقوا سير الحركات السياسية والإصلاحية والثورية بالشمال الإفريقي فلم تزعزعه الحوادث ولم تأخذ منه الأيام الحالكة، بل ظل يؤدي رسالته في إتقان وإيمان وإصرار وصمود.

خامسا: استطاع الشيخ أحمد توفيق المدني أن يثري المكتبة التاريخية الجزائرية والعربية بمجموعة نادرة من المؤلفات التي لا يمكن للباحث الاستغناء عنها والتي فاقت العشرين مؤلفا، رغم الظروف التي كتبت فيها والتي كانت فيها الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي.

سادسا: نظرا لما أشتهر به المدني من ثقافة واسعة وعلم غزير منحت له الحقيبة الوزارية عند تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية حيث أثبت قدراته و كفاءته من خلال الأعمال التي قام بها لصالح الطلبة الجزائريين بالخارج.

سابعا: أن الشيخ أحمد توفيق المدني على الرغم من مميزاته الشخصية التي تطرقنا إليها في مطلع هذا البحث والتي جعلت منه متميزا منفردا يبقى ابن بيئته فقد عاش أوضاع مجتمعه واستوعبها وتأثر بها حيث كانت رافدا قويا وموجها أساسيا لرسم معالم مساره السياسي وكذا الثقافي في المستقبل.

ثامنا: منذ وصوله إلى الجزائر بداية سنة 1925 حتى ذهابه إلى القاهرة في بداية 1956 لم يتخلى فيها أحمد توفيق المدني عن النضال المتعدد الأشكال وهذا مدة ثلاثة عقود خصصها كلها لصالح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تاسعا: بما أن جمعية العلماء الجزائريين تعتبر حركة إصلاحية فإن أحمد توفيق المدني يعتبر أحد مؤسسيها الأوائل وانطلاقا من مبادئها القائمة على الإصلاح الديني والفكري فإن أحمد توفيق المدني انتهج هذا الطريق من خلال الاهتمام بالتاريخ لماله من أهمية في تنوير العقول بواقع الأمة وطبيعة الاستعمار البغيض ووجوب المحافظة على الذاكرة التاريخية هذا ما جعله ينكب على دراسة التاريخ العربي الإسلامي والتأليف فيه.

عاشرا: لقد كانت ثرية تلك المسيرة التي اتبعها أحمد توفيق المدني منذ صباه بدون تنازل فمن تونس إلى الجزائر ثم إلى القاهرة ليذهب أيضا إلى بعض العواصم السياسية الأخرى، حيث مثل وطنه أحسن تمثيل وعليه فقد كانت مسيرته مشرفة ومدعمة بأعمال ثرية ساهمت بالقدر الكبير في خدمة القضية الوطنية.

احدا عشر: لم يكن المدني محصورا في دفاعه عن المسلمين بالحدود الجغرافية للجزائر فقط، بل أنه تصدى لمعالجة قضايا العالم الإسلامي، وأن ينقلها إلى صفحة الجزائر، يمثل ما ينقل صراع الجزائر إلى أفق العالم الإسلامي، كما أفرد المدني حيزا هاما، من فكره وقلمه للقضية الفلسطينية فقد عمل على فضح تلك المؤامرات الدولية التي حيكت ضد الشعب الفلسطيني كما أنه يعتبر أن القضية الفلسطينية هي قضية العالم الإسلامي ككل ولا تخص الشعب الفلسطيني فقط.

وبعد هذه الحوصلة المبسطة لكل ما وصلنا إليه من دراستنا لهذا الموضوع يبقى أن نقول أننا لا نزعم في هذه الدراسة المتواضعة الإحاطة الكاملة بنضال المدني الثقافي والسياسي بالجزائر، إلا أننا قدمنا صورة وضيئة مشرفة عن هذا الرجل العظيم الذي طال عمره وحسن عمله قدمناها لنقرأها عبرة ودرسا وقدوة ومنهجا وأمانة ورسالة، فالحديث عن تاريخ توفيق

المدني حديث عن تاريخ الجزائر، فليجتهد كل منا أن يكون مثل توفيق المدني تاريخا للجزائر، تاريخا مشرفا يليق بعروبتها وإسلامها.

وأخيرا تحية وفاء نقدمها لروحه ونسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته.

قائمة

البيبليوغرافيا

أولا: القــرآن الكريــم:

برواية ورش ، دار ابن كثير، 2010.

قائمة المصــادر

الكتـــب

- خير الدين محمد، **مذكرات محمد خير الدين**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت)،ج1.
- الذيب فتحي، **عبد الناصر وثورة الجزائر**، القاهرة، ط2، دار المستقبل العربي، 1990.
- الزهار أحمد الشريف، **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار (نقيب أشراف الجزائر) (1754– 1830)**، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الجزائر، ط2.
- العقون بن إبراهيم بن عبد الرحمن، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1920– 1936)**، الجزائر، ط2، منشورات السائحي، 2007، ج1.
- فضلاء محمد الطاهر، **التحريف والتزييف في كتاب "حياة كفاح"**، الجزائر، دار البعث 1982.
- المدني أحمد توفيق، **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا**، الجزائر، دار البصائر 2009.
- ـــــــــــــــ، **حنبعل (رواية تاريخية)**، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- ـــــــــــــــ، **حياة كفاح (مع ركب الثورة التحريرية)**، الجزائر، دار البصائر 2009، ج3.
- ـــــــــــــــ، **حياة كفاح**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ج1.
- ـــــــــــــــ، **حياة كفاح**، الجزائر، دار البصائر، 2009، ج2.
- ـــــــــــــــ، **رد أديب على حملة أكاذيب**، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- ـــــــــــــــ، **قرطاجنة في أربعة عصور، تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، الجزائر، دار البصادر، 2009.
- ـــــــــــــــ، **كتاب الجزائر**، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- ـــــــــــــــ، **محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ**، الجزائر، دار البصائر 2009.

- ـــــــــــــــــــ، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791) (سيرته، حروبه أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده)**، الجزائر، عالم المعرفة للنشر، 2010.
- ـــــــــــــــــــ، **هذه هي الجزائر**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية للنشر، (د.س.ن).

ثانيـا: قائمة المراجـع

الكتب العربية:

- بسكر محمد، **أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة الجزائر**، دار كردادة، دس، ج2.
- بن خليف عبد الوهاب، **تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال**، الجزائر، ط1 دار دزاير أنفو، 20013.
- بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931- 1945)**، الجزائر، دار المعرفة، 2008.
- بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى (دراسة تاريخية وأيديولوجية مقارنة)**، قسنطينة، الجزائر، ط2، دار مداد، 2009.
- بوضربة عمر، **النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (سبتمبر 1958- جانفي 1960)**، الجزائر، دار الحكمة، 2010.
- بوضربة عمر، **تطور النشاط الدبلوماسي للثورة الجزائرية (1956- 1960)**، الجزائر، دار الإرشاد، 2013.
- بوطيبي محمد، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين (1900-1930)**، الجزائر، دار الهدى، 2012.
- الحريري محمود محمد، **منهج البحث في التاريخ**، القاهرة، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، 2001.
- الحواس الوناس، **نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، (1927- 1954)** الجزائر، دار شطامي، 2013.
- حيدر كامل، **منهج البحث التاريخي** ، لبنان، دار الفكر، 1995.

- درار أنيسة بركات، **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، الجزائر، (ط.خ) (د.د.ن)، 2006.
- دليو فضيل، **تاريخ الصحافة الجزائرية المكتوبة (1830- 2013)**، ط1، الجزائر، دار هومة، 2014.
- رفاعي عيد العزيز، **الحركة القومية في إفريقيا (أصولها، نشأتها، تطورها)**، القاهرة ط1 (د.د.ن)، 1962.
- الركيبي عبد الله، **تطور النثر العربي (1930- 1974)**، تونس، الدار العربية للكتاب 1983.
- الزبيري محمد العربي، **قراءة في كتاب عبد الناصر وثورة الجزائر**، الجزائر، (د.د.ن)،2007.
- زكريا مفدي، **تاريخ الصحافة العربية في الجزائر**، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر 2003.
- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، (بيروت، لبنان)، دار الغرب الإسلامي، 1990، ج3.
- سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، (بيروت، لبنان)، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1996، ج4.
- سعد الله أبو القاسم، **الحكة الوطنية(1930-1945)**،(بيروت، لبنان)، ط4، دار الغرب الإسلامي، 1992، ج3.
- سعيدوني ناصر الدين، **أساسيات منهجية التاريخ**، الجزائر، دار القصبة، (د.س.ن).
- سعيدي عثمان، **الجزائر في التاريخ**، الجزائر، دار الأمة، 2013.
- سعيدي وهيبة، **الثورة الجزائرية ومشكلة السلاح (1954- 1962)**، الجزائر، دار المعرفة 2009.
- سيد علي مبارك مريم، **أعلام الجزائر**، الجزائر، دار المعرفة، 2012.
- شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900- 1939)**، الجزائر، دار البصائر، 2009.
- صاري جيلالي، بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1850- 1950)، ترجمة: عمر المعراجي الجزائر، (د.د.ن)، 2007.

- الصالح محمد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**، الجزائر ، ط2،ألفاديزان للنشر، 2006.
- الصديق محمد الصالح، **شخصيات فكرية وأدبية هذه مواقفنا من الثورة التحريرية الجزائرية**، الجزائر، دار الأمة، 2002.
- الطالبي عمار، **آثار عبد الحميد بن باديس**، (دمشق–سوريا)، دار اليقظة العربية، 1918،ج2.
- الطمار محمد، **تاريخ الأدب الجزائري**، الجزائر، (ش.و.ن.ت)، 1981.
- عباس محمد، **نصر بلا ثمن (الثورة الجزائرية 1954– 1962)**، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2007.
- عثمان حسن، **منهج البحث التاريخي**، القاهرة، دار المعرفة، (د.س.ن).
- عثماني مسعود، **الثورة التحريرية أمام الرهان الصعب**، (عين مليلة، الجزائر)، دار الهدى 2013.
- العسلي بسام، **الصراع السياسي على نهج الثورة الجزائرية**، (بيروت، لبنان)، ط1، دار النفائس 1982.
- فضلاء محمد حسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، الجزائر، دار هومة، 2008، ج2.
- قنانش محمد، **المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية (في فجر النهضة الحديثة)** الجزائر (ش.و.ن.ت)، (د.س.ن).
- كواتي مسعود، **شخصيات جزائرية مواقف وآثار ونصوص**، الجزائر، ط1، دار طليطلة 2011.
- لهلالي أسعد، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية (1954–1962)**، الجزائر، دار الحكمة، 2010.
- لونيس رابح، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة (بين الاتفاق والاختلاف 1920–1954)**، الجزائر، ط1، كوكب العلوم، 2009.
- مرتاض عبد المالك، **نهضة الأدب العربي الحديث والمعاصر في الجزائر (1925–1954) النهضة الفكرية ، الصحفية والأدبية، التاريخية**، الجزائر (ش.و.ن.ت)، 1983.

- مريوش أحمد، **الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية**، الجزائر، ط1، دار هومة، 2007.
- ناصر محمد، **المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها، تطورها، أعلامها) من 1903إلى 1931** الجزائر، (د.د.ن)، 2007، ج1.
- ناصر محمد، **المقالة الصحفية الجزائرية، (نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903-1931)** الجزائر، (د.د.ن)، ج2، 2007.
- مقلاتي عبد الله، **مواثيق ووثائق الثورة الجزائرية (دراسة تحليلية)**، (د.ب.ن)، دار شمس الريحان للنشر، 2013.
- هومة فيصل ومبارك سيد علي، **رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ**، الجزائر، دار المعرفة، 2010.

الكتب الفرنسيــة:

- Achour Cheurfi, **écrivains algériens, dictionnaire bibliographique,** Alger, Edition casbah, 2004.
- Alistaire horne**, histoire de la guerre d'Algérie**, paris, Edition, 2007.
- Farhat Abbasse**, Autopsie d'une guerre**, Edition garnier, paris, 1980.
- Fatima Zohra buechi, **la presse, algérienne de la langue arabe (1946- 1954)**, (enjeux politiques et jeux de plumes), Algérie, bahaddine, édition, 2009.
- Jacques carret pré sadek sellam, **l'association des oulémas d'Algérie** Edition alem el agkare.
- Mohamed Harbi, **les archives de la révolution algérienne**, paris Edition jeune Afrique, 1980.

الموسوعات :

- بوضرساية بوعزة، **موسوعة رواد المدرسة التاريخية الجزائرية**، الجزائر، دار الحكمة، 2007.

- بوعلام بلقاسمي وعبد القادر خليفي وآخرون، **موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة**، منشورات المركز الوطني للدراسات، 2007.

المعاجـم

- أبو الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، الجزائر، منشورات دحلب، 2007.

القواميـس:

- عاشور شرقي، **معلمة الجزائر القاموس الموسوعي (تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام معالم)**، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2009.

الرسائل الجامعية:

- جابو أحمد ، **المهاجرين الجزائريين ونشاطهم في تونس (1830- 1954)**، أطروحة دكتورا قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بلقايد، تلمسان، 2010-2011.
- جودي بكاكرية ، **المثقفون وإشكالية الحقل الثقافي الجزائري (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف)**، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر، 2008- 2009.
- مزهود سليم ، **مفهوم الخطاب الإصلاحي عند الشيخ مبارك الميلي**، رسالة ماجستير قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005- 2006.
- حروز عبد الغني ، **نادي الترقي ودوره في الحركة الإصلاحية بالجزائر (1927- 1939)**، رسالة شهادة أستاذ تعليم ثانوي، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007- 2008.
- خليفي عبد القادر ، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر (1899-1983)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية، والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007.
- هيدون وسام ، ارهاصات **المدرسة التاريخية الجزائرية أحمد توفيق المدني أنموذجا**،قسم العلوم الانسانية ،كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة – الجزائر ،2013-2014.

- ميسوم بلقاسم، **الكتابات التاريخية خلال الفترة الاستعمارية (1830– 1962) دراسة تحليلية**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2001.

المجـــلات والدوريـــات:

- أبو محمد "**من أبي محمد**"، البصائر، العدد 49، الجزائر، 1949.
- أحمد توفيق المدني، "**كتاب محمد عثمان باشا**"، الشهاب، المجلد 13، الجزء1، المطبعة الجزائرية الإسلامية، (قسنطينة–الجزائر)، 1937.
- عبد الحميد بن باديس، "**محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766– 1791)**، الشهاب، م13،ج7، المطبعة الجزائرية الإسلامية، (قسنطينة، الجزائر)، سبتمبر 1937.
- القنيطري عبد اللطيف، "**إلى أبي محمد**"، البصائر، العدد 46، الجزائر، 1948.
- المنصور، "**كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع**"، الشهاب، الجزائر، م13، ج7، المطبعة الجزائرية الإسلامية، (قسنطينة، الجزائر)، نوفمبر 1937.
- المنصور، "**مهزلة جديدة بتونس**"، الشهاب، م11، ج7، المطبعة الجزائرية الإسلامية، (قسنطينة، الجزائر)، 1935.
- ميسوم بلقاسم، **كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة تحليلية**، مجلة المصادر، العدد 16، السداسي الثاني، 2007.

الملاحق

ملحـق رقم (01):

أحمد توفيق المدني

المرجع: جيلالي صاري، ص 277

ملحـق رقم (02):

صورة بمناسبة سفر الوفد الثالث إلى باريس

بمناسبة سفر الوفد الثالث لباريس
الجالسون من اليمين إلى اليسار:
1 ـ الشاذلي خزنة دار. 2 ـ أحمد توفيق المدني. 3 ـ الطيب الجميل. 4 ـ أحمد الصافي. 5 ـ صالح فرحات. 6 ـ الشيخ صالح بن يحيى.

الواقفون:
7 ـ زين العابدين السنوسي. 8 ـ محمد الجعايبي. 9 ـ حسين الجزيري. 10 ـ الطاهر آغا. 11 ـ علي بوكرداغة. 12 ـ عبد الرحمٰن البعلاوي. 13 ـ محي الدين القليبي.

المصدر: حياة كفاح، ج1، ص 393.

ملحـق رقم (03):

تشكيلة الحكومة المؤقتة الأولى للجمهورية الجزائرية

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

الجالسون من اليمين إلى الشمال: أحمد توفيق المدني. دكتور محمد أمين الدباغين. الرئيس فرحات عباس. السيد كريم بلقاسم. الدكتور أحمد فرنسيس. الواقفون من اليمين إلى اليسار: عبد الله بن طوبال. عبد الحفيظ بوالصوف. ابن يوسف ابن خدة. عبد الحميد مهري. محمود الشريف. محمد يزيد.

المصدر: حياة كفاح، ج3، ص 400.

ملحـق رقم (04):

المؤتمر الصحفي بالقاهرة

المؤتمر الصحفي بالقاهرة (1956م)
أحمد توفيق المدني يلقي تصريحه وعلى يمينه الأستاذ محمد خيضر رحمه الله وعلى يساره الأستاذ عبد الرحمن كيوان.

المصدر: حياة كفاح، ج3، ص 185.

ملحـق رقم (05):

صورة لأحمد توفيق المدني أثناء زيارته للسودان

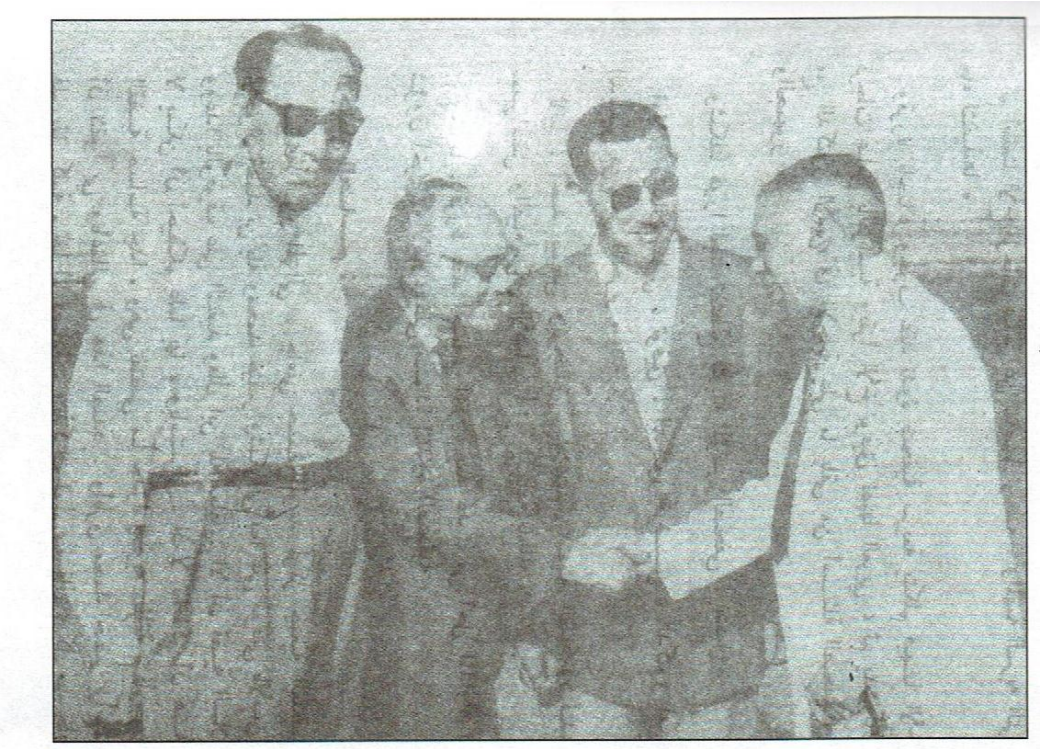

نزولنا في السودان المرة الأولى. مدير التشريفات يستقبل الوفد المؤلف من توفيق المدني (يصافح المدير) والشيخ العباس ابن الشيخ الحسين والسيد بورغيدة.

المرجع: سعيدي وهيبة، ص 66.

ملحـق رقم (06):

صورة اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية

في اللجنة السياسية للجامعة العربية توفيق المدني
والمرحوم كريم بلقاسم يقف خلفه المرحوم محمد يكن الغسيري. ثم الأستاذ ابن الحسين والأستاذ كابويا.

المصدر: حياة كفاح، ج3، ص 193.

ملحـق رقم (07):

الصفحة الأولى من تقرير إبعاد أحمد توفيق المدني عن تونس

التقرير الثاني

من الإقامة العامة الفرنسية بتونس

إلى وزارة الخارجية

بعد إبعادي عن تونس

9 جوان 1925م ـ رقم 1278.

أحمد توفيق المدني، صحفي، وعضو ذو نفوذ باللجنة المركزية، هو روح الحركة العملي، ومغرم بحزب الدستور.

إنه جزائري الأصل، ويبلغ من العمر ما بين 27 و28 سنة. ولقد كان معتقلاً أثناء الحرب العالمي ببلدة في أقصى الجنوب التونسي، بأمر من المقيم العام مسيو الابتيت[1] من أجل إنشاء معلقات ثورية تحمل حملة بلغت أشد القسوة ضد فرنسا[2].

ولقد كان يومئذ مشتهراً بتعلقه بالأتراك وبالجرمانيين. ثم إنه ابن وقريب لعائلات تونسية مستقرة باستانبول.

المصدر: حياة كفاح، ج1، ص ص 468- 474.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعـــات	الصفحـة
مقدمـة	أ-ح
قائمة المختصرات	7
الفصل التمهيدي: أحمد توفيق المدني والمرحلة التونسية	
تمهيد	9
أولا: التعريف بأحمد توفيق المدني (المولد والنشأة)	10
ثانيا: تكوينه الدراسي	12
ثالثا: نشاطه الثقافي والسياسي بتونس	13
رابعا: ظروف إبعاده من تونس إلى الجزائر	21
الاستنتاج	23
الفصل الأول: نشاطه الثقافي بالجزائر(1925- 1962م)	
تمهيد	25
أولا: مساره الصحفي	26
1-دوره في مجلة الشهاب	26
2-دوره في جريدة البصائر	28
ثانيا: إسهاماته في الكتابة التاريخية	31
1. مفهوم التاريخ عند أحمد توفيق المدني	31
2. إنتاجه الفكري	32
3. نماذج عن آثاره التاريخية	35
4. إسهاماته في تاريخ مبارك الميلي	46
ثالثا: نشاطه الثقافي في الحكومة المؤقتة	47

الاستنتاج	50
الفصل الثاني: نضاله السياسي في الجزائر (1925-1962م)	
تمهيد	52
أولا: دوره في الحركة الوطنية	53
1-مشاركته في تأسيس نادي الترقي	53
2-نشاطه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	57
3-مشاركته في تأسيس جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها	62
ثانيا: دوره في الثورة التحريرية الجزائرية	64
1-رد فعل المدني على اندلاع الثورة	64
2-مهامه إبان الثورة التحريرية	66
ثالثا: نشاطه السياسي في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية	76
1-دوره الدبلوماسي	76
2-تمثيله الدائم في جامعة الدول العربية	78
الاستنتاج	81
الفصل الثالث: مواقفه من القضايا المحلية والعربية ووفاته	
تمهيد	83
أولا: موقفه في القضايا المحلية	84
1. موقفه من قضية التجنيس	84
2. موقفه من المؤتمر الإسلامي	86
3. موقفه من مجازر 8 ماي 1945	88
ثانيا: موقفه من القضايا العربية	90
1. القضية التونسية	90
2. قضية المغرب الأقصى	91

3. القضيــة الفلسطينيـــة	92
ثالثـــا: وفـاتـــه	94
الاستنتاج	97
الخاتمة	99
قائمة البيبليوغرافيا	103
ملاحـــــق	
فهرس الموضوعات	111